آمال فرج العيادي

البالونة الكحلة

قصص

البالونة الكحلة

قصص

آمال فرج العيادي

البالونة الكحلة

قصص



البالونة الكحلة

آمال فرج العيادي

الطبعة الأولى: 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2019/13

رقم الإيداع الدولي: 9789959-921-02-4

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com



أحلام ندية

الفوضى المسلية الجميلة تعج بأركان البيت، تدفع للإعجاب والتساؤل والبحث والتنقيب عن معنى ضائع وسط زوبعة الفوضى.

كومة جرائد مقروءة في عصرية الأمس، أضمومة مجلات بانتظار تصفحها، أوراق بيضاء مدعوكة مجهضة الإلهام مرتبكة السطور، إبريق فخار مطقوش عند خرطوم الصب، أذنه مقطوشة وعروة ممسكه لحقها بعض الصدأ والخزاز، طفلتي عثرت عليه مغروزا في رمال الشاطئ، تملؤه الأمواج وتفرغه، لعله قد تركه مصطافون قدامى أورماه بحار ثمل من سفينة قراصنة، طفلتي تملأ الإبريق بالرمل والطحلب والصدف، تصنع لنا شاي رمل منعنع.. حين عودتنا إلى البيت أصرّت على جلب الإبريق اللقية معها.. حضنته إلى صدرها وطوال الطريق تحكي لنا عن جماله ورسومات ظهره وعن الشاي الرملي المنعنع الذي أعدته لنا وقدمته لنا في طاسات طبيعية، عبارة عن أصداف صغيرة عميقة كالجفن.

الفوضى المسلية الجميلة تعج بأركان البيت، أصداف مبعثرة.. قواقع ممسوخة تعوق خطوات طفلي الصغير، قطعة خشب يبرز من وسطها نتوء على هيئة حلمة، فلينتان يجمعهما خيط مقطوعتان من شبكة صيد، أقلام ملونة يعبث بها الطفل يخربش على ساقه العاري وعلى ذراعه، دمى مختلفة الأشكال منتشرة هنا وهناك، الدمى هدايا

من صديقات وأصدقاء للصغيرين، طفلتي تجلس أمام المرآة، ترى الفوضى المسلية الجميلة أمامها على المرآة، تضحك طويلا وتلصق إبريقها إلى نهدها النائم ثم تصب من الإبريق في القوقعة وتقول ماما شاي بالحليب.

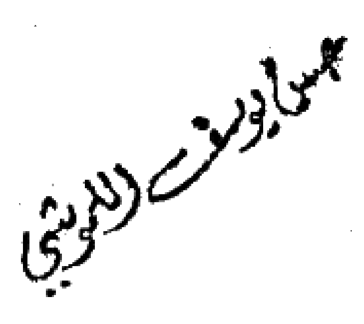
أنا الآن في المطبخ أعد وجبة العشاء، أرفع غطاء الوعاء، كل شيء في الوعاء يفور، ويتقلب: الماء، الخضراوات، اللحم، البهارات، البقول، النار.

الوعاء يعج بالفوضى المطبوخة المسلية الجميلة، طفلي خربش يديه ورجليه وممسك الآن بدمية أرنب وبر أذنيه من الشعر والحسك يخربشهما مشاكسا الأرنب وكأنه حي وحقيقي، بينما طفلتي الضاحكة تنادي أمام المرآة:

- أنا جائعة يا ما ما.

أرفع غطاء الوعاء فيتصاعد البخار إلى أعلى، أسكب محتوى الوعاء في قصعة واسعة ليبرد، أبحث عن مكان في البيت نتناول فيه طعامنا، البيت ضيق، البحر واسع، لكن الدنيا ليل، لا يمكننا العودة إلى البحر.

عند النوم وضعت طفلتي الإبريق على الكوميدينو بجانب سريرها، كان شكله جميلاً، إبريق بلا غطاء، مملوء بالرمل والأصداف وخيوط الطحالب وأحلام خضراء بهيّة.





حليب الشمس

الطين بعيد عن بحارنا.. الرمال قريبة من بحارنا.. السماء فوقنا كلنا..

في هذه الظهيرة التي نعيشها يومياً صمت مطبق يجبرني على أخذ قيلولة بمعدة خاوية.. وإذ تفكر معي كيف ولدت هذه القيلولة.. لم أجد شفاء إجابة ولا حتى مرض يسأل.. فلنتشاطر التفكير أعزائي عزيزاتي.. أنتم يقظون ففكروا وأنا نائمة وسأفكر.. ميلاد القيلولة يشغلني جداً.. لوحللت لغزه فسوف أكسب يانصيب الراحة.. سيكون لي أولاد وبنات من هذا النهار ومن كل نهار.. ألعب معهم.. أرضعهم.. أربيهم.. أرسلهم إلى الطين ليزرعوا وإلى البحر ليصطادوا.. وإلى السماء ليصنعوا فوق روحي مظلة تقيني مطر الكآبة.

لم تصلوا إلى شيء وأنا أيضاً لم أصل إلى شيء.. سأواصل نومي.. غربت الشمس وامتد الليل وبعد منتصف الليل بقليل استيقظت ودخلت الحمام.. أنا الآن أقطّر على رأسي بُضيع قطيرات (شامبو) مع قليل من الماء أفركه موزعة الرغوة بالعدالة.. الرغوة تنفجر كعادتها، فقاقيعها لا تحتمل الضغط فتسيل إلى تحت.. إلى الجبهة والرقبة والفخذين وما بينهما.. لغة الرغاء فقاقيع طامسة للأعين.. البالوعة تلتهم ما يصلها من قذارة.

البالوعة تطل على البحر.. رائحتها تخبرني بحكايات ملوثة غير كاملة عن البحر.. تزعم أن في البحر شوارع.. مبان.. أسواق وشعوب

من أسماك مختلفة.. تزعم أن للبحار قمرها ومعابدها وآلهتها وقصص حب تجرى فيما بينها.. تتزايد كلما ازداد البيض وكلما ازدادت هجومات النوارس ومفرقعات الآدميين وجرّافاتهم المتوحشة.

هذه الأيام أسكن منطقة الصابري.. منطقة عريقة تاريخها مدوّن في الأغاني:

(الصابري عرجون الفل .. الصابري عمره ماذل..)

(الصابري ورد وياسمين .. الصابري زين على زين..)

أناسها طيبون أصحاب مروءة وشهامة يقاسمونك ما اصطادوه من البحر وإن كانت سمكة واحدة فهي من نصيبك.. وصباياه يتفنن في طهي كل ما هوبحري وخاصة (القرنيط) يصنعن منه المكرونة بالكلميت ويحشونه بنفس خلطة العصبان يعطى مذاقا شهيا ويجدن التعامل حتى مع المأكولات الأخرى كفأر البحر والاستكوزا وثعابين البحر وماهرات جداً في إعداد الكسكسي بسمك الفروج والفاصوليا برأس الحوت.. ويتفنن بإعداد وجبة السردين بجميع أنواعها.. طاجين ومقلى ومشوي كما أنهن يحفظنها بطريقة تشبه التعليب.. بعد تنظيف السردين الصغير بنزع حشوة بطنه وإزالة رؤوسه يملح وتعصر عليه قطرات الليمون ويوضع في كسكاس على البخار حتى ينضج ثم يرص في حافظات فخارية أوزجاجية أوحتى من الكروم المهم ألا تكون بلاستيكية أومن معدن الألمونيوم وتغمر بزيت الزيتون ولمن أحب بالإمكان وضع فصوص الثوم المهروسة مع حبيبات الفلفل الأسود وقليل من الإكليل وزعتر الجبل وقرون الفلفل الأحمر المجفف داخل صرة صغيرة من القماش الأبيض الشفاف المعد للف الدجاج المحشى وتغمس هذه الصرة في القاع بحيث يغمرها زيت الزيتون وتجعل مذاقه ونكهته لا تقاومان.. وبإمكان ربة المنزل أن تضعه هكذا مع شرائح البصل

والطماطم وقليل من الهريسة العربية أوتصنع منه حرايمي إن كان في وجبة خفيفة فسيكون سندوتشات أما إنّ كان ستتناوله الأسرة وجبةً رئيسية فستسلق معه المعكرونة السباقيتي ومنهم من يفضل تناوله على البحر مع الشرمولة.. وذلك بعد صيد كميات وفيرة.. يسترزقون منها في السوق وتوزع بعضها على الجيران الذين لم يصطادوا لأية ظروف.. بيوتهم تفوح بنسيم البحر.. موسيقاهم هدير الموج وشموعهم أضواء السفن المهتدية على بريق منارة سيدي خريبيش.. دائماً يذيقوننا من مأكولاتهم التي نشمها ما إن يضعوها على النار.

أطفال القيلولة يهتفون أحد الفريقين سدد هدفا والهدف على شاطئ البحر ليس كسابقاته وإنما يعادل اثنين.. صغاري تجشؤوا حليب الشمس وناموا على أنغام الموج الهادرة.. أما بناتي فظللن يجمعنا الأصداف والقواقع وبعضهن منشغلات ببناء القصور الرملية وهدمها.. طفلة واحدة هي مهجة القلب كنت لا أراها تنتمي لأي مجموعة ولا تشارك قريناتها اللعب.. تبدومتذمرة من زحمة الأطفال.. وتود الاحتفاظ بكل شيء لنفسها لكنك إذا جذبتها إليك بود وهمست لها أنت شطورة فسريعا ما تطلق قهقهتها وتقفز لتريك اللوحات التي ترسمها على الرمال وتحكى لك عن جداريتها الكبيرة بمنزلها الآيل سقفه للسقوط.. كلما سمعت كلمة ربى كريم من أحد الصيادين الذين يلقون بصناراتهم في البحر تراودها تداعيات سقوط سقف غرفة الجلوس التي سقطت قطع من سقفها من جراء حديد أكل خرسانته الصدأ.. فوراً تردد الجملة التي قلتها فور تهاوى السقف..

- (ربى كريم.. الحمد لله اللي ماجاء على عويلتي)

تبتسم ابتسامة عريضة وترتمي بحضني قاضمة أظافر يسراها.. لكنّ اللوحات لن تنهار أليس كذلك؟!

..أشعر أنها خالدة في مخيلة مهجة وستعيد إنتاجها حالما تتضج وإن كانت البدايات تظل عظيمة رغم تعثرها.. وإذا ما سألتها أي الألوان تستعملين.. تجيبك ضاحكة وشفاهها الصغيرة تميل إلى ركن واحد وتهز كتفها الأيسر في خجل قاضمة ظفر إبهامها الأيمن..

- أحمر اكليرك.

وتقبض على يدك لتوقفك راجية أن تحضر لها الألوان والفرشاة حينها لا تجرؤ على التملص منها إلا بتغيير مجرى الحديث فهي محاورة بارعة وتعرف كيف تبقى الحوار مستمراً لساعات.. تحدثك عن همومها الصغيرة الكبيرة على طفلة لم تتجاوز الرابعة من العمر.. فما يشغلها هوتليين قلوب اليهود وطوال الوقت تنظر إلى التلفاز وتجرى معهم الاتصالات وتسميهم (عود) وتعدهم أنها ستقدم لهم الحلوى والهدايا مقابل أن يتراجعوا عن حرق القدس..

- آلو.. آلو..(عود) ماعاش تحرقوا العرب والمسلمين.. ازرعوا الورد باهى بيش نعطيكم حلوى!!

وبعد أن تمل من الحديث تنطلق وحيدة لتستلقي على الشاطئ وإذا ما ناديتها لا تجيبك فأتيها غاضبة..

- بح صوتي من مناداتك ألا تسمعين.. فتجيبني بكل فتور
- انأمل.. انأمل ماما في اللوحات.

(أي تتأمل اللوحات التي تخيلتها في البحر أوربما في السحب) وبعد صحوتها من التأمل أطلب منها أن تعود للأكل وتغيّر ملابسها

- كليت ماما مع السموكة.. كليت في الخيال..

وتهرع صوب الرمال الجافة لتجمع أصداف صغيرة (البازوزى) في قنينة بلاستكية فارغة كانت لمياه الكفرة وتخضها لتصدر صوت شكشكة يوقظ الصغار وعندما أشير لها بعدم إزعاج إخوتها الصغار تنثر عليهم الرمال طالبة منى رميهم في البحر.. ولا تهدأ إلا إذا سردت لها خرّافة (جريبة وخيتها) و(عيشة بنت الحوات) وتسألني كثيراً عن خالها الذي مات غريقاً في البحر بعد أن سمعت ذلك كثيراً من جدّها وكذلك عن (الطويرة أم بسيسى) (النورس) وعن أكلها وسكناها وإن كنا قد ضايقنا النوارس بمكوثنا الطويل على الشاطئ!!

البحر لا يثبت على حال أحياناً ترتفع أمواجه العالية لترتطم بصخور الشاطئ وينعشنا رذاذه وأحياناً أخرى يحضر الجزر هاجماً بشكل ملحوظ فتنكمش مياهه إلى الداخل ويصير الشاطئ كما لوكان واحة سراب.. يفرح الأطفال بتسلق الصخور التي كانت لهم قبل أيام غير مرئية تغمرها المياه..

هاهم أطفالي أتمّوا مباراتهم.. تناولوا شرمولة بالتن ودخلوا يمغورون فجيوات الصخور بحثاً عن السرطانات البحرية والأخطبوطات الصغيرة.. والبنات يصرخن لن تهدم الأمواج بيوتنا وستغرب عليها الشمس وتصبح مأوى لطويرة أم بسيسي..

- ماما بكرة انجيبوا طين من مزرعة جدي عشان نعجنوا بيه الرملة بيش الموجة ما تقدرش اتهدم حوشنا..
- حاضر يا بنيتي، بكرة نمشوا لمزرعة جدك ونجيبوا الطين.. ونخلطوه بالرملة والتبن البحر ونبنوا بيه حوش جديد سقفه ما يطيحش علينا يا بنيتي الغالية.

سما يوسف اللوتي

بالونة كحلة

«الدمع دمعى والعيون عيونى.. نبكى على الأولاد نين يجوني»

«أني واحلة في عيوني....

رمد الهواء منين جاهن....

في الصبح ما يوجعني....

وفي الليل يكثر بكاهـن»

- لـمّا نكبروا نتفكروا كل حاجة؟

هذا ما قالته شيراز ليلة عيد الفطر وهى تتألق بمنامتها الوردية التي تباهت بها بعد أن قفزت لتفتح خزانتها وتخرج منها دمى دببة الباندا بأحجام وتشكيلات جميلة.. الزي الياباني التقليدي وصندوق مملوء بالفراشات المحنطة أرتها لي.. أخبرتني أنها (كلما فتحت الصندوق تخالها تقفز على وجهها)..

أحبها أن تطير بألوانها الزاهية وأطير ورائها كالعصافير في الفضاء.. فحتى العصافير لا أحبها سجينة الأقفاص.. عندما أشترى أبي قفص عصافير لأخي محمد من سوق الحمام كنت في كل مرة أتظاهر بتنظيف القفص.. أطلقها فأشعر براحة كبرى خاصة عندما أراها تطير وتبتعد في السماء مغردة.. كلما أطلقها يصطحبه أبي يوم الجمعة إلى سوق الحمام ويعوضه بعصفور أو اثنين عن فقيده

وفيآخر مرة طيرت العصفور أقسم له أبي أن لا يدخل قفص عصافير بيتنا مادام على قيد الحياة..

انتبه محمد إلى ما كنت أفعله واشتكاني لوالدي. لكن أبي كعادته أنحاز لي.. وهدده بالضرب إن لم يكف عن مضايقتي ومنذ ذلك اليوم الحرب قائمة بيننا على أتفه الأشياء.. أحياناً نتراشق بسهام النظرات.. ثم همست لي:

- صندوقي هذا لا أخرجه أمام أحد.. لا أسمح لإخوتي بالاقتراب منه فهم يعبثون بأشيائي على الدوام وأنا أهوى المحافظة عليها.. عندما يجتمعون في جلسة عائلية مديرها أبي فهو دائماً يصنع لنا (شاهي العشية على الكانون) أمي تعد لنا الترديدة وهي وجبة خفيفة نتناولها جميعاً بعد انقضاء القيلولة والانتهاء من صلاة العصر.. في ليالي الصيف نصعد متأخراً مع هبوب النسيم البحري يتطوع أبي بإعداد العشاء ويطهولنا المكرونة المبكبكة بالقديد الذي يحبه كثيراً.. أساعدهم في تنظيم الجلسة وتحضير الحاجيات.. أنزل متسللة.. إذا ما وشى بي محمد أتحجج بالدخول لدورة المياه.. أفتح الصندوق بمفتاحه الصغير الذي لا يوجد نسخة مثله في البيت.. النسخة المماثلة مع عمي جبريل فقط.. هوالوحيد الذي أسمح له بفتح صندوقي دون استئذان.. فإذا شعرت أنه قد فتح فمعناها أنّ عمي عاد من السفر ليلاً ووضع لي مفاجأة بداخله.. أحب عمي كثيراً وأحب وجهه الصغير الذي أنصهر مع الأسيويين بعينيه الضيقتين وأنفه الأفطس وشعره الناعم الذي كثيراً ما اتمسّح عليه كما لوكان سبيب حصان أسود فيشده ضاحكاً:

(كان عاجبك نبدلوا) شعري أكرد وغزير.. جدة والدي إرترية تزوج بها جدي بعد انتهاء الحرب بين أرتريا وايطاليا واستقر بها في الحبشة.. دائماً يصفونني بأني ورثت شعري المجعد والكثيف عن جدة والدي الإرترية..

وتواصل شيراز السرد عن شخصية عمها جبريل الذي تصف ابتسامته بالمشعّة حتى في أحلك الظروف.. يديه الحانيتين ماهرتان في جلب النوم ومسح الدموع.. هكذا فهمت من وصفها.. كما أهداها مجموعة قصص من الأدب العالمي تروى بعض الأساطير الشائعة في العالم مصورة وناطقة باللغة العربية.. اليابانية.. الإنجليزية.. كل هذه الهدايا أحضرها عمها في زيارته الأخيرة وأرتني الزي الياباني ووعدتني عندما أنجب بنتا ستلبسه لها من أجل التقاط صورة جميلة به وأنها ستلبسها وتضع لها «الميك أب » وتصنع لها التسريحة فقد تعلمت كل ذلك من زوجة عمها (مومو) اليابانية.. شيراز تحب فواكه البحر وخاصة القواقع عندما تصنع منها زوجة عمها طبقاً يابانياً لكن أمها لا تسمح بدخول فواكه البحر للبيت فهي تتقزز منها خاصة وهي تتوحم أما أبوها فيحبها كثيراً خاصة مع شراب الساكي وهذا لا يحدث إلا عندما يذهب في زيارة لأخيه جبريل باليابان مرة كل ثلاثة أعوام وصافحتني بيدها بحرارة وأغمضت بيدها الأخرى حافظة يدي بين كفيها الرقيقتين:

- هذا سر يا خالتي..

■ (سرك في بئر)

فعندما يلتقي عمي وأبي يتمازحان ويطلب عمي أن يخرج بنا للتنزه فيرفض أبي بشدة:

- «يا ودى أمس وأنت مفسحهم قداش منك»

فيتوعده إن لم يوافق أنه سيخبر عن الساكي وبناويت الجيشا.. أخبرني عمى عن الساكي وقال لي أنه شراب مثل اللاقبي عندنا يبعث الدفء في الجسد ويجعل الإنسان سعيداً لكنه بالنسبة لنا نحن فهوحرام ولا نشربه لأنه مسكر ولكن ما معنى الجيشا يا خالتي أتعنى النساء المدربات على السلاح.. لا.. لا.. ليس الأمازونات في الميثالوجيا الليبية القديمة، هن نساء مدربات لخدمة الرجال مثل الجواري التي قرأت عنها في قصص ألف ليلة وليلة.. ويطول الحديث الهامس لتمسك شيراز مقود السرد وتعود بي إلى فواكه البحر، والسوشي والساشي وتكمل شيراز حديثها:

- عندما يجلب أبي فواكه البحر إلى البيت يا خالتي ليعدها بنفسه تهاجمه أمي.

- (ياودى برا كول الزفار في مطعم أعبيّة وإلا مطعم محمد عقيلة العمامي وفك علي راه نسيبلك الحوش مرة وحدة)

تنبطح شيراز تتصفح مجلة الأمل.. هي شغوفة بالقراءة وبالاطلاع على عادات وتقاليد الشعوب وتعرف كيف تحافظ على هداياها من عبث إخوتها الصغار.. بين الحين والآخر يشرق فاهها فتشع عنه غمازتان تحفران خديها.. تتمايل جدائلها الكثيفة المجعدة كحيلة اللون كليلة ودع فيها القمر سماءه ليفصح المجال للغيمات العاتمة.. وهى تستمع لموسيقا منبعثة عن تلفاز عتيق معلق بارتفاع عن عبث الأطفال.. ذكرني بتلفاز جدي الذي كنا نتسابق لفتح سحابته الخشبية الشبيهة بباب جاروري له مقبضين..

البالونات متفاوتة الألـوان تزين فضاء الغرفة. هي وإخوتها يتحينون فرصة انهماك أمهم ﻓﻲ إعداد فطيرة العيد وتجهيز مأدبة الغداء لضيفيهم العروسين اللذين حلّا عليهم ضيوفاً من بنغازي ليلة العيد..فلحوا ﻓﻲ قطف بالونة من هذا العقد المتأرجحة منه أسراب الفل وخيوط الزينة تتدلى بعشوائية.. غير أنّ فريد الصغير فضحهم بصرخاته المتقطعة..

- توا نمشى نخبر أمي.

تهدئه أزاهير بتربيتة خفيفة وتمسح على شعره مشيرة بإصبعها على شفتيها المضمومتين.. (أسّ)، يصرخ مجددا فتهرع ملاك وتلبد وراء الباب ويعاود أصغرهم نداءه.

- (الليميّة لا.. نبي الكحلة)

تمسك شيراز بيدي .

- أتحبين البحر؟ دائماً أغمض عيني فتأتيني النوارس وأجرى بين الزهور وألعب مع الفراشات وأعانق القطط وخاصة عندما تطفئ أمي الأنوار صائحة: «هيا ناموا الوقت متأخر».

ثم قادتني إلى حيث مدخل البيت اللامسقوف، تبهجني الصورة البيتية، يساراً ترفرف ملابسهم على المنشر.. إلى الأمام سلالم تُفضي إلى باب خشبي مازال يحتفظ بطقطاقته النحاسية على هيئة يد مكموشة ويميناً حوض قديم هيئته تتقعر لدائرية.. مرمر حافته متشققة الزوايا، به جرتان متوسطتا الحجم مثبتتان وسط الحوض بطريقة مائلة تغرى محمد بملئها والذي يجلس على المصطبة يرقب اندلاق المياه منهمكا بقطف وريقات زهور أخته شيراز يرميها ﻓﻲ الماء،

مقهقها واضعاً يديه أمام فمه في شكل بوق لتفخيم الصوت:

- (أفطنوا سفينة صفراء ستغرق الآن).

طابع الغرفة تقليدي بعض الشيء.. جدارية قماش لناقة وحوارها تلاصق الجدار الجانبي و(الشليف) وهوالإكليم يتوسط الحصير المغطى لبساط أعجمي حاشيته حرقها كانون البخور.

شكماجا عتيقة ليست بالية أعلاها مرصع بالرخام الزاخر بالصور التذكارية المحمية بزجاج عادى يسمح بالرؤية من خلاله.. فوقها مبخرة صغيرة نحاسية وقنينة فضيّة مرقشة بنحوت زهور حمراء تستعمل لرش ماء الزهر كالتي يرشنا بها جدي أيام الجمع وفى الأعراس والأعياد.. مكحلة معلقة مثبتة وسط مرآة أهدتها الجدة لابنتها بعد أول زيارة للحج. يجانبها طست نحاسي كان يستعمله الجد للوضوء.. طنافس غاصة بأسماء الجالسين عليها. أكثرهم قد رحلوا وتركونا.

تحدثني عن تاريخها والدة شيراز:

- (هذه الطنافس كانت في مربوعة بوي منذ رجوعه من المنفى التركي إلى أن غادرنا، جلبتها من بيت أهلي بلبدة لبيتي بطرابلس رغم عتقها أرفض تنجيدها.. لكني أهتم بنظافتها وتثبيت كبسولات الزينة بها باستمرار.. حتى إخوتي عندما يزورنني يرفضون الجلوس على المنادير ويفضلون القعود عليها) تتوزع سلال السعف الفزّانية على الأرفف في الغرفة.. واحدة استعملت حافظةً للأمشاط ومشابك الشعر وشرائط عصب الضفائر ولبعض الأزرار متعددة الألوان والثانية احتوت

على نوى تمر.. وحبيبات زيتون مجففة.. وملاليم وقروش لعملة ليبية قديمة.. وأنواع أخرى من العملة الأجنبية.

أهل هذا البيت يعشقون السفر وقد طافوا أصقاعاً كثيرة.. عندما تدخل عليهم ضيفاً تشعر أنّ البيت بيتك، لا يخفون عنك شيئاً.. الكل يتنافس على راحتك وتعليق ملابسك في مشاجب روحهم، بل وإخفاء بعضها لئلا تغادرهم سريعاً.. جمال بيتهم يفصح عن بساطتهم. مذ دخولك لهذا المنزل والتلقائية تفرض نفسها، صرخت شيراز في وجه محمد فأجابها:

- جدّي قالي دير ما تبّي أنت راجل الحوش.
- ماما تعالى اشبحي شن دار!

جوانب الحوض بقايا فسيفساء مغروس به عمود يسمح لفريد وملاك بالتطاول والتمطي عليه.. مثبت قرب نهايته طبق فخاري، بين هذين الطبقين أنثر حبيبات الأرز وفتات الخبز للعصافير خلسة عن أمي.. ويعتليه بمسافة طبق مثله يصغره حجماً وضع مقلوباً، طينه مخلوط بالرمل.. الزهرة الصفراء تسقيها شيراز ومحمد دائم العبث بها. حتى في يوم العيد يرفض تناول إفطاره ليرتدي ملابس العيد سابقاً أخواته.. أدخلوني حجرة شرفتها واسعة كبيرة الأبواب.. في النهار للجلوس واستقبال الضيوف وفى الليل للنوم. تذكرت طفولتي. أكره التزامي الأسري فهويحرمني متعة الإسهاب في المطالعة والتأمل ولا أستطيع أن اشتغل على نص مدة خمس دقائق دون مقاطعة من الأطفال.. فلا أطيق الاستقلالية التامة التي تحرم متعة الغطاء بلحاف مشترك.. لم نعد نسمع صخب محمد ولا مشاكسته.. افتقدناه طيلة ساعتين فإذا به يدخل علينا حاملاً كرتونة صندوق الحليب وقد رسم

عليها وجه جده وهو يتفاخر به.

- (أهوه مايقدرش حد يقوله لا) (مسميني عليه وتضربوا في تويوريكم غير إيجي).

وخرج راكضاً يطير اللوحة الورقية كما لوكانت طائرة شراعية تتأهب للتحليق في الأجواء.. محمد يعيش المرحلة الأخيرة من طفولته المتأخرة.. محباً لرسم البرتوريهات.. اشترك بمسابقة تصميم أفضل شعار للحركة الكشفية وتحصل على الترتيب الأول مع وسام المبدعين وكذلك يحب الاختراعات فأمه دائمة النزاع معه وأبوه شديد القسوة عليه.. قد جعل من غرفته المتواضعة معمل تجارب كيميائية وفيزيائية، لكنهم دائماً يجهضون مشاريعه بصراخهم في وجهه وضرب والده المبرح له وسحب مفتاح غرفته.. فأتجه إلى لعب كرة القدم والدخول على المواقع الإلكترونية التي تدعم الاختراعات الكيميائية.. مهوس بأخبار الساسة والقادة العسكريين.. تفطن والده إلى كل هذا فضرب حوله حصاراً وألزمه المكوث في البيت فأصبح لا يخرج إلا للمدرسة، حتى الصلاة في المسجد الملاصق للبيت ممنوعة.. الوحيد المتفهم لاحتياجه النفسي جده الذي رحل وتركه في عزلة موحشة..

فجأة توقفت شيراز عن الحراك لتضع يدها على خديها وأصابعها البيضاء تنفرد ملتصقة بالخدود مستغرقة في جوتأملي ضاج.. تعصر جبينها وترمش عينيها البريئتين تستغرق في نظرة غائبة عبر الأفق.. تصر أسنانها.. تمضغ شدقها الأيسر تضع سبابتها في فمها تمتصها خلسة تمسح فمها بطرف فستانها الزعفراني تفرك فروة رأسها وتسألني.

- وين صغارك يا خالتي.

- تركتهم يتزلجون على الجليد.
- شن معناها.
- عندما تكبرين ستفهمين معناها!

أسرني عالمها البريء الذي لا يمكنني التلصص عليه.

- ماذا رأيتي؟
- لا شيء.
- أحكِ لي ألم نصبح أصدقاء؟.
- تخيلتك نائمة وتحضنين طفلاً.

استغرقت معها في الحلم وانتبهت لتجول عينيّ في هذا المتحف الصغير وتركت شيراز مستغرقة بفكرها. عندها سحبتني أزاهير من يدي واقتربت من كرسيين لصالون عتيق لونهما أحمر قان ملتصقتين بركن الجدار.. رفعت مرتبة الكرسي أخرجت مجموعة من رسائلها المخبأة وطوابع بريدها والبطاقات التي جمعتها من بعض الدول التي زارتها. وضعت يدها على فمها مشيرة لي بالسكوت وعدم التعليق عندما رأيت بريدها المصغر. سمعت شيراز خطى محمد فاقتربت من الغرفة وأنزلت المرتبة بسرعة مغلقة مستودع أسرارها.. عدت إلى أزاهير.وجهت لها نفس السؤال ضحكت واندست في حضني تقول:

- تذكرت سقوط أولى أسناني كيف اقتلعتها لي معلمتي وصاحبتي لأغرغر فمي في دورة المياه.. كنت احتفظ بها في جيب مريولي المدرسي وطوال الوقت أتحسسها مخافة أن تضيع وفى نهاية

الدوام ارجع إلى البيت جرياً.. أعطيها لأمي فتقبلني (إن شاء الله بسلامتك) وتذوب لي ملعقة ملح صغيرة في كوب ماء بارد وتطلب منى الغرغرة لتفادي النزف وترميها قبل الغروب مرددة يا شمس يا شموسة خودي سن حمار وعطيني سن عروسة.. وارفع يديّ منادية هاي في محاولة لاستقبال السن من جديد فتخبرني أمي أن فم الشمس ابتلعتها.

غابت شيراز هذه المرة.. أغمضت عينيها تسرد تخيلاتها.

- تخيلت أنا وأنت نذرع شوارع بنغازي وأنت تدفعين طفلك في عربة مظللة. نطوف بالألعاب التي وعدتني باللعب فيها عند زيارتي لك..

طوال الليل نتسامر والأم مغروسة بيننا كنقطة ارتكاز ومحور تواصل بين عقلانياتهم. انتفاضة وقت تقطع التحام الدائرة. نطقت ازاهير بعد صمت:

- أني انحب اللوّيدة والسلحيبة والدرجيحة هلبة.

وأخذت تلوي ذقن أمها ذات اليمين وذات الشمال:

- مش حق يام.

تحولقوا حولي يسألون:

- أين تركت صغارك ياخالتي؟
- لماذا لم تحضريهم للعب معنا؟

فكرة أني متزوجة حديثاً لم يتقبلوها.

- كيف يام العروسة ما يجوهاش صغار؟

انصرفت شيراز تصنع من الكلس والمكانات الخالية من الطلاء في السقف طيورا وحيوانات. الأطفال خيالهم متقد.. هذه القشور المزعجة للكبار قد تكون مصدر متعة للصغار. يتخيلونها سحبا.. بالونات.. وجوها لشخصيات شاهدوها في برامج الرسوم المتحركة وفي الأحلام أيضاً.. ظللت معهم أترقب الشقوق المخددة للسقف والجدران.. جروح عميقة لا تئن.. لم تتعفن..لا توجد للرطوبة أية رائحة.. بيتي أيضاً مليء بالقشور.. غرفتي في بيوت الشباب تتهاطل من سقفها طبقات الطلاء مجيّرة رأسينا.

حتى درجي المدرسي تتساقط عليه القشور يا خالتي وأعود أكثر الأيام بشعر فضي كالعجوز.. أخرجت لهم دمية الأرنوب الوردي الذي أهدانيه زوجي بمناسبة عيد الطفل.. هولا يفارقني معي في كل الأسفار.. هذا صغيري.. أحممه.. أهدهده.. أحضنه وأنام.. قفزوا كلهم.. أزاهير لتشرب الماء.. فريد ينتش الفطيرة.. محمد يقتنص الذبابة بمسدسه.. أمّا شيراز فأعتدلت في جلستها وقابلتني.

- تتنكدى وتتغششي كان ما جوكش صغار؟
- انتوا صغاري..

أشعر أن أطفال العالم كلهم أطفالي. أحب معانقتهم.. تقبيلهم.. اللعب معهم أيضاً.. أخبرتها عن أطفال أنجبهم رحم روحي.. أطفال درستهم في الابتدائي وعن أبناء أختي ود ومنصور وعن أخواتي فجرية وخولة وعن ولاء وأروى ناصر وسلومة أقاربي وأولاد الجيران مفتاح ومها وفرج ومروة وملاك وعبدالله.. ونسيبة ومودة وطه ورقية.. بعثت معي شيراز سلاما لهم وطلبت أنأحضر صورهم الزيارة القادمة التي لن تحدث بسبب هوس الكبار وتدخلهم في أدق تفاصيل

الصغار وخصوصياتهم.. اللعنة على عنجهيتهم تجاه الأطفال.. غبت ثلاثة أعوام وعدت لشيراز محملة بالصور التي طلبت وهدايا أعرف كم يحبونها.. ورسائل تعارف من بعض الأطفال رغبة في التواصل.. آه كم أحببت هؤلاء الأطفال بعيداً عن أنانية الكبار.. ولكم أكره ما يسمي بوحم أمزجة الشعراء والفنانين.. الذي أعرف أنني لن أصاب به لتشبع خلاياي بفيتامين ب 14.. مازلت لا أصدق حتى هذه اللحظة التي مر عليها صيفين كاملين ومازال الجرح ينزف.. كيف نقابل بالصد وبطريقة سمجة حتى الكفار برأ من شناعة فعل كهذا فمابالك لمسلم..عربي ليبي صديق وأضف على هذا كله لدينا موعد مسبق مع أهل الصغار والدعوة مفتوحة.. الباب وجدناه مواربا ليتهم أوصدوه.. حاسب زوجي سائق التاكسي.. لمت زوجي لعدم شرائه «تورتة» كما وعد لكنه رد بابتسامة:

- ألا تكفيك كل هذه الهدايا «يارمش العين» ماتزعليش عشرين دينار ابعثي محمد الصغير للحلوائي خلاص أضحكي..

ولكن سرعان ما انقلبت ضحكتي لبكاء فمن رحب بزيارتنا في أي وقت يبدوأنه نسي العيش والملح لا أحد باستقبالنا كما جرت العادة ولا هتافات تفضلوا ولا أنستوا ولا أي صدى لقهقهات الصغار وحدها أزاهير التي أطلت وكأنما طلب منها أن..... أو..... أو..... أو.....!

لكن البنت تسمرت وأخذت تقلب عينيها بصورة غريبة.. انفجرت باكية وهرعت صوب الداخل تسمرنا على الدرج الذي لا سلم له في ذاك البيت القريب من ميدان القادسية زوجي ضم في حضنه ابننا جبير الذي كاد يسقط من الدرج وأمسكت بدوري بتلابيب صغيرتي مهجة التي كادت أن تهرب راكضة لتلحق باكية بأزاهير التي دخلت

لتختفي.. انتظرنا.. خروج أحد دون جدوى أتصل زوجي بصديقه الذي دعانا لزيارتهم بالموبايل..

- ها يا وحودة نحن واقفين ع الدروج وينكم؟!

فأجابه ما من أحد بالمنزل.. عدنا أدراجنا صوب الفندق وحملنا أطفالنا فكانت العودة بطفلتي من الأمور المستعصية.. فمهجة اجتماعية جداً ومتعلقة كثيراً بعمها عبد الواحد وتحب مشاكسته وهداياه الرائعة وتنام في حضنه شاء أم أبى فهي طفلة لطيفة تجبرك على التورط في الاستماع لسردها اللامتناهي واحتضانها وتقبيلها لا شعوريا فإذا ما احتضنتها تدخل رأسها الصغير متسللة لروحك مكررة:

- حضنك دافئ ياعمو.

رغم صغر سنها غير أنها تسرد ذكرياتها بجلاء ووضوح وخاصة اليوم الذي جلسنا فيه بحديقة ثلاثة وعشرين يوليو.. فهرعت البنت بغتة هاربة للمقهى المجاور للحديقة وقفز والدها ليلحق بها فإذا بها تعود بين ذراعي عمها عبد الواحد تحمل علبة عصير عنب راوخ الذي تحبه كثيراً مع البسكويت المحشو بالتمر وكيس مملوء بحيوانات الغابة البلاستكية وكرة جميلة لأخيها الصغير جبير.

ظلت تنتظر موعد زيارة بنات عمها الصديق عبد الواحد أسبوعاً كاملاً.

- ها يا ووحودة نحن واقفين ع الدروج وينك؟!
- "مافيش حد في الحوش"

جرجرتها بعد أن رفضت مغادرة المكان وهي تصرخ:

- «خلوني مانبيش الفندق.. نبي نلعب مع خواتي شيراز.. أزاهير.. ملك.. أنا نحبهم واجد قوللها يابابا» نبي عموعبد الواحد..

أضطررنا!!.

اوهههههههه!! ما أصعب أن ترغب أناس وتتمني لقياهم يدعونك ويخنعون كالجرذان في جحورها!

رغم اختلاف المواهب والشخصيات والأمزجة والمدن إلا أن صديقاً أخر قد فعلها وإذا كان الأول في عز الهجير فالآخر في شهر رمضان وقبل أذان المغرب.. مسلم هوالآخر وإن كانت زوجته أوروبية اعتنقت الإسلام هي الأخرى.. بعد ما حدث معنا بطرابلس تركنا الشعراء لنغير الجوبمدينة مصراتة راجين أن يتغير علينا الفلك "الحظ".

مصراتة لا نعرف بها أحدا سوى أخوال أمي من قبيلة الجهانات الذين ما أن علموا تواجدنا بفندق حتى قامت قائمتهم فهم يحتفظون بطباع أخوالهم التي تعود لمدينة زلة بالجنوب.. جاؤوا واستضافونا وعندما رفضنا المبيت أخذوا منا وعداً بالعودة قبل أفولنا لبنغازي وذلك من أجل تخضيبي بالحناء وعدناهم شاكرين وأقفلنا عائدين لفندق مصراتة السياحي زرنا صديقنا بمرسمه الصغير الذي لا يبعد عن مكان إقامتنا سوي بعض المترات وقبلنا دعوته الملحاحة للتعرف على زوجه وأقسم أن نأخذ البركة من والده الحاج الذي سبق أن زاره محمد..

باب كبير ومذ دخولك وذريرات التراب تتقافز أمامك لا ندري أن كانت ترحب أم تلعن أولعلها تتوعد!!، أنزل البشير من يده عبوة

الخمس لترات رغم إعاقة يده رفض أن يساعده زوجي قائلاً أعتدت الأمر ياراجل!

آنة التي غيرت أسمها بعد إسلامها إلي إيمان قد خرجت لتأمين بعض حاجيات البيت فانتظرنا في الفناء الخارجي الذي شدني به رسم لسلحفاة مجسدة بالطوب فوق التراب قرابة سياج حظيرة البط جلس محمد بناء على رغبة البشير على كرسي عتيق قبالة مشجب قد علق به حذاء وأشياء عتيقة بدا كلوحة تشكيلية حية أونصب تذكاري وناداني ليريني إبداعاته وطلب رأيي بها.. وأهداني بعضها.. مازلت أعتز بها رغم ما حدث.. فهذه التصرفات من المبدعين أجد لها عذراً دائماً في قلبي.. هنيهات ودخلت زوجه التي تميز وجهها بندبة قديمة جراء عضة كلب فوق شفتها العليا بدا لي لوحة تشكيلية لن تتكرر رغم شدة انزعاجها من هذه الندبة التي تحمل شريطا من ذكريات لا تنسي كلما نظرت بالمرآة أوسألها أحد ما عن مسبب هذا الأثر.. دخلت آنة بطولها الفارع وقوامها الممشوق تصحب صغيريها فارس ومحمود وقد حملا جينات أمهما من شعر أشقر وصفاء بشرة وعينين لامعتين بالشقاوة وتشاجر أحدهم مع مهجة على بقايا لعبة فلم يشأ الفنان أن تخرج مهجة باكية فأعطاها مسجلة صغيرة فقدت وظيفتها ومحفظة جلدية أعتق من العتق نفسه.. مازالت ابنتي تحتفظ بها واضعة بداخلها الحجر الذي طرق به جبير الباب ولم يفتح له رغم مناداته هوواخته مراراً افتح يا سمسم ولكن دون جدوى..

خرجنا وكلاهما يتبعنا الزوج والزوجة واقسما علي أن نتناول إفطارنا عندهم فأشترط زوجي أن تكون الشرية والبراك من صنعي وحددنا موعد القدوم وكان الساعة الثالثة قبل أذان العصر وآنة هي

من حددت الموعد وبدت منشرحة لذلك من أجل إعداد الفطور في اليوم التالي علما بأنا أجلنا موعد السفر من أجل تلبية دعوتهم.. وحضر الفنان معيتيق بسيارته السوداء العالية من أجل اصطحابنا لبيت الأول، نزلت في تلك القيلولة الباهتة أنا محملة بلحم الضأن والسلق والخضرة من أجل إعداد الشربة والبراك.. عاد زوجي مع من أحضرنا وتركاني أمام البيت صحبة طفلي تحت أشعة الشمس والسيارات المارقة.. طرقت.. طرقت ما من مجيب..

لا أدري ألا والطفل الأكبر فارس عاد مسرعاً مرحباً وتناول من الشارع حجرة متوسطة الحجم وأخذ يطرق صارخاً مام.. مام.. حلي.. ماما.. وتمتم بكلمات بلغة أمه لم أفهمها لكنها توحي من تعابير وجهه عن سخطه تجاه الموقف..

اتصلت بزوجي الذي عاد مع معيتيق الذي كان ردة فعله اللامبالاة!!

علي عكس الفنان بن لامين الذي كان يتناول إفطاره بالمسجد بسبب ظروفه الخاصة رغم ذلك كانت دعوته ملحاحة في تناول زوجي لوجبة الإفطار بعد أن يصطحبه للمطعم لكن زوجي يفضل الدعوة الصادقة الملحاحة التي كانت بازين علي إيدام مصراتي مع الفلفل الأخضر الحار والليمون الناضج ببيت الله علي وجبة شواء بمطعم فاخر ولم ينسني فقد أحضر لي نصيبي في الفندق بعد أن اعتذرت عن الذهاب لمنزل أهله وقبلت دعوته لمرسمه الرائع وجعل طفلي يتجولان بمرسمه دون قيود وأجاب عن أسئلة مهجة برحابة صدر وأطعم جبير بنان موز بيديه الحانيتين مما وجدناه مجهزاً لاستقبالنا حلويات.. عصائر وفاكهة.. وأسرتني إبداعاته الفنية المتطورة التي لم تحصل علي براءة اختراع بعد.. بعد هذه المواقف صرت أكره تلبية

الدعوة حتى أن صديقنا القاص والمترجم عبد السلام الغرياني قد وجه لنا دعوة لزيارته في البيت إلا أني بعد الفصول السابقة صرت اعتذر على تلبية دعوات الأدباء والفنانين لأنها غير مضمونة وأسمح لزوجي بتلبيتها لوحده.. فكان عبد السلام كلما رأى زوجي يتسكع في شوارع طرابلس يخطفه لبيته فتقوم زوجته الكريمة بواجب الضيافة على أكمل وجه ولا تنسى دائما أن تبعث مع زوجي حصتي من الأكل والفاكهة والزميتة التي أحب.. أتمنى أن أزورها في البيت ذات يوم بشرط أن يكون الأستاذ عبد السلام مسافر فلم يعد لي قلب يحتمل صدمة أخرى.

غريب هذا التآلف بين الأرواح.. قد يحدث من نظرة أوابتسامة في مكان ما.. من شخص تراه لأول مرة وقد تعايش أشخاصا لعشرة أعوام وروحك لا تألف روحهم..

أخبرتني أزاهير:

- تخيلتك ترضعين طفلاً وأنا ابنتك.

قبلت يديها وجبينها واحتضنتها بحميمية.. بينما صرخ وليد:

- البالونة الكحلة طارت!.



رفع طرف جلابيته بيده اليمنى.. أصر على حافتها بفمه ومسح فخذه بقطعة قطن أخرجها من كيس بلاستيكي تظهر عليه علامة الهلال الأحمر باهتة، الكيس منتوشة أطرافه من جراء صنع أعواد بلاستيكية لتنقيب ما دخل وسط سنه المنخورة من التسوس.. فأعواد الخشب تؤذى لثته الحساسة.. بخ عليها من زجاجة كلونيا ودعك فخذه جيداً بقطعة القطن المعقمة وحقن نفسه بحقنة الانسولين.. ألبس غطاء الحقنة لنيدل الإبرة.. ووضعها في مكب نفايته.. ثم اطرق مهمهما بينه وبين نفسه:

- فكنا الله من دعا الشر تجي اصداف شي متعاطي نشارك في الذنب!

ونزع الغطاء عن رأس الإبرة ودكه على صخرة كبيرة أمام باحة كوخه فأنكسر النيدل محدثا فرقعة (طرباق).

كوخ طينى.. مطل على البحر.. جلس صاحبه العجوز أمام بابه الصغير الذي لفق أخشابه العتيقة ورقعها بالمسامير الصدئة التي كان يجمعها من جولاته اليومية على الشاطئ.. متناثرة من بقايا أكواخ صغيرة لشباب مصطافين.. الباب يبدو كأرضية شطرنج عتيقة..

يجلس بهدوء مفتعل.. يكتنفه الضجر.. تجتاحه الوحدة.. ويبدو رأسه منحنياً وقد أثقلته وطأة الهموم.. يعبث بالزمن في ملاعبة كلبته السلوقية بقطعة عظم ليست مسلوخة من اللحم جيداً، مازلت رائحة مرق الأرز (السليق) تفوح من العظم الذي يتحسر على عدم تنجيره

بأسنانه من اللحم والعصب الذي نعرفه (بالعلب) فمعظم أسنانه قد غادرت كما غادره أحباؤه ورحل عنه أصدقاؤه من دون سابق إنذار وبعض ما تبقى من أسنانه لم يدعها داء السكرى تتجومن الخلخلة.

قطعة العظم تتشممها الكلبة فتنفض أذنيها المتهدلتين كمن غاص في البحر ودخل الماء إلى أذنيه.. سال لعاب الكلبة وأخذت تنبح وتلهث.. يبدو أنه اعتاد استفزازها قبيل تقديم الطعام لها.. كلما ازداد لهاثها وتعالى نباحها يرخى لفة من السلسلة التي لفها على معصمه ويقهقه لتتضح تعاريج أجمل لوحة رسمتها ريشة الدهر على وجه هذا العجوز.. يغمض عينه اليسرى ويفتحها بصورة مستديمة في الدقيقة عشرات المرات.. يرفع قداحته ويشعلها ليمررها بطريقة دائرية أمام نظر الكلبة فتحاول أن تدنو من اللهب الذي سرعان ما لسعت حرارته إبهامه فرمى بها وامتص إصبعه بلسانه .. ثم بصق بصقة أخرجها من بين فلجة أسنانه الأمامية المتبقية .. ورفع قبعته ليضعها على رأس كلبته التي يصحومن نومه كل ليلة مذعوراً ليرى إن كانت على قيد الحياة. أطمأنت الكلبة للقبعة وسكنت قليلاً فوضع القبعة على رأسها معناه أن ميعاد وجبتها قد أزف .. نظر إلى السماء .. رأى الشمس قاربت على الرحيل فزم بشفتيه وأطرق برأسه متمتماً متأوه ..:

- هيه.. ما حال إيدوم.. الدايم وجه الله!!

انحنى ليلتقط علبة سجائره شبه الفارغة فتعثر:

- ياساتر شوي ورحنا فيها!!

رفع كسرة المجداف التي تعثر بها وتخير بين رميها في كانون النار أو رميها في البحر..

لم يرمها في النار أوالماء وثبتها بمسمار على باب كوخه.



فقد

ابنتي لديها غابتها البلاستكية.. تضعها في السطل وتضع عليه الغطاءة فيحل الظلام..

تنام باكراً لتستيقظ نشطة صباح اليوم التالي.. أول استفاقتها تتمطى بكسل في سريرها وتنادى بصوت دافئ عذب يجعلني أرد عليها سريعاً..

- (صخبيل.. صح الموم).. (نجاح ماما) نزليها..

فهي تصبح علي بالخير وتحفزني للاستيقاظ المبكر بجملتها المرتبكة (صح النوم).

أتركها تنصت للأغاني التي تبثها قناة النجاح الفضائية وخاصة.. (ياطيبة).. (يامكة)..

(يا أقصى).. (أنا.. أنا.. الزرافة).. (دقي.. دقي.. يا طبول..) (اشربوا الحليب).. وأعود لها بكوب الحليب الدافئ.. ثم أتحايل عليها لتتناول معه حبيبات تمر وكسرة خبز..

ترشف من الحليب.. وانزل لها سطل الغابة البلاستيكية من فوق الدولاب.. تفتح غطاءته وتسكبه أمامها.. ثم تنهمك في ترتيب أشجار وحيوانات غابتها.. أغيب عنها للاعتناء بأخيها وأعود لأجد أمامي على السجادة غابة حقيقية.. الأشجار كثيفة والحيوانات ترعى على

العشب وتنط وتقفز وتجري هنا وهناك.. وقفت أشاهد الغابة.. وقفت أشاهد ابنتي وهي ممسكة بكوب اللبن.. ترشف منه وتدور في منتصف الغابة والحيوانات تتبعها وتدور لدورانها وتقف لوقوفها.. تتبادل معها الكلمات وتغني معها بلغة لا أفهمها.

أطلت الوقوف وأطالت ابنتي الوقوف في منتصف الغابة تتحدث للحيوانات وتخطب فيها ربما، تستدير إلى اليمين واليسار بل تلف برقبتها إلى جميع الاتجاهات.. تلفها في حيرة وقلق وكأنها فاقدة لشيء عزيز.. قالت لي ماما.. وين أدد "هدهد".

عصا البليباردو

نحضر كل يوم إلى المصيف العسكري نصنع الحفر لتدخل بها قنافذ البحر.. خرجت من الشاطئ زحفاً على ركبتي فسحقت تحتهما قنفذاً صغيراً.. وكم ألمني ذلك وجعلني أتوقف عن اللعب.. أخرجت أمي بعض من شوكه المتكسر في ركبتي بالملقاط وبقية الشوك لم تتمكن منه لتوغله في لحمي فقالت لي إخراجه يحتاج لمساعدة طبيب.. لكنى رفضت الذهاب للطبيب ومازالت ركبتي تؤلمني حتى الآن خاصة عند ممارسة الرياضة وأخذ وضعي الجثو والانبطاح.

البحر مخلوق جميل كنت صغيرة أحفر في الرمل بمسحاة اللعب البلاستكية صفراء اللون.. أحفر وأحفر.. طاعنة في كل غرسة جوف الرمل.. أمزق أنسجته وأشتت ذريراته..

هل كان الرمل ينزف ؟!

ترى ما لون دمه ؟!

أركض إلى الشاطئ أملأ دلوي الصغير وأدلقه سريعاً في الحفرة لآتى بغيره وأسكبه لعلّني أملأ الحفرة وفى كل مرة تغرب الشمس وحفرتي باقية على حالها.. وأنا في طريق العودة فكرت ماذا لوأحضرت خرطوماً يشفط ماء البحر؟!، فسقطت في حفير الشارع.. هل كانت حفرتي ترفض الامتلاء أم أنها ترضخ للواقع؟!.

ذكّرني إصراري على ملأ حفرتي بالماء بخرّافة الغولة التي تطلب

من ربيبتها الجميلة ملء الكسكاس بماء البئر وإحضاره لها في طريق طويلة كي تتخلص منها بدحرجتها في البئر.. وأخيراً نجحت وأنا في سريري بملأ حفرتي ولكن ليس بدلوي وإنما بخرطوم الفيل.

أعوم أنا وإخوتي.. نسد أنوفنا ونغمض عيوننا غاطسين نتسابق على جلب حفنة رمل من القاع والفائز من حقه الاحتفاظ بالمسكرة والأرجل وأسطوانة الأكسجين الصغيرة مع بدلة الغطس والقارب الذي نفخناه آنفاً.. إذا فاز أخي خالد كان يصعّد أخوته الصغار مجدي وأحمد وأسامة وذات مرة أختلّ توازن القارب نتيجة شقاوة أسامة فهو لا يثبت على حال كحال ابني جبير الآن .. الذي لايعرف الثبات علي حال ولايطيق الاستقرار .. حركة حركة باستمرار حتي اثناء تناوله للطعام وادائه للصلاة يلف يديه او يجول ببصره دون تلفت هنا وهناك واثناء ادائه لواجباته المدرسية رغم انه طفل اليوسي ماس ويفترض به انه تعلم كيفية الهدوء والسكينة .. ياله من طفل مشاكس لايحسن تطبيق القواعد متمرد على كل الثوابت .. كارها للقيود .. وعندما اناقشه يجيب طالقا ضحكته الساخرة صافقا بكلتا يديه حانيا لجسمه في حركة بهلوانية :

- ياماما المهم ان انجز واجباتي.

ويطلب عدم الزامه بالجلسة الصحية ومسك الاباكوس في وضع أذني أرنب .. ودائما يتمني بل ويحاول الطيران ويحسد الطيور علي اجنحتها .. قدري اني عايشت تمرد اسامة واليوم علي معايشة جنون جبير .. الذي اعاني ويلات مغامرات طيرانه وما يترتب عليه من جروح وكسور .

وقفز اسامة عن ظهر القارب فجأة فأنقلب القارب وغرق أحمد

ومجدي.. أنقذهما شاب كان يسبح بالقرب منهما وصرخت لأبى الذي كان يطالع في شرفة المصيف كتاب (رومل ثعلب الصحراء) رمى ثعلب الصحراء فوق المنضدة وهبط مسرعاً فوجد مجدي بحالة جيدة أما أحمد فقد قلبه الشاب وأخذ ينفضه كما لوكان ديك سيزيل عن ريشه الماء.. مسكه أبى وأجرى له تنفساً صناعياً.. ساعده الشاب فخرج الماء من أنفه وجوفه وأستعاد وعيه وانتظمت أنفاسه.. ضمّه أبى إلى صدره وحمد ربه على نجاتهما ومذ ذلك اليوم وأحمد يلقب (بو الموتات) أقسم أبى أن لا يحضرنا للمصيف وأمي ليست معنا وتوعد أسامة الذي سبب في انقلاب القارب والذي هرب ولم نعثر له على أثر إلا بعد الثامنة مساء بعد أن أشرف أبى على حمّاماتنا وغسل لإخوتي الصغار وجفف أجسادهم وساعدهم على ارتداء ملابسهم..

- (ماتقلولي خوكم وين واخذ وجهه.. مش عارف وقت البلياردو قرّيب.. غير مانحوزه يأكل فلقة باهية)..

نذهب إلى صالة الطعام.. نتناول العشاء كل حسب رغبته ثم نخرج للعب في الحديقة حتى يحين افتتاح دار العرض فندخلها لنشاهد المسرحية..

دخل أبى إلى صالة البلياردو بعد أن أضناه البحث عن أسامة المشاكس الذي كان لا يمر يوم إلاّ ويرتكب فيه حماقة يكدر بها صفونا..

أبي يلعب البلياردو، ينقر برأس العصا الرفيعة الطويلة الكور كي تندفن في الحفرة، يبتسم كلما نقر كرة حمراء أوصفراء أوبيضاء أوشقراء، أمي كانت كرة سوداء لم ينقرها أبي بعصا البلياردو لتندفن في الحفرة لكن قدرها أراد لها أن تتدحرج إلى هناك، كانت تسعل وتسير إلى هناك ببطء، وبين الحين والآخر تشيعنا بابتسامة سمراء تجعل دموعنا كما إسفنجة تعصر.

سقف

انتقلنا من بيتنا بحي المحيشي الذي بدأ بالتصدع لعدة شهور.. وعندما عدنا وجدنا أسقف الغرف قد تهاوت أرضاً.. لا خيار أمامنا.. لابد أن نسكنه مجدداً.. قضينا فيه شتاءً عسيراً، مياه الأمطار تخر على رؤوسنا.. لا مال لدينا لنجري له صيانة كاملة ولا نمتلك ثمن شقة أوحتى بيت عربي صغير.. بيتنا القديم مؤلف من أربعة غرف وصالة واسعة ومطبخ كبير وحمامين وسطح فسيح وأمام بابه بالطابق الثاني استراحة تنشرح لها النفس تظللها دالية عنب عتيقة تثمر عنباً أسوداً شهى الحبيبات نذوّق منه الأهل والجيران وكل الأصدقاء ونعطى السماح لجيراننا الملاصقين عن اليمين والشمال في قطف العناقيد المتدلية على جدرانهم أما العناقيد التي تتدلى على الشارع فنمنحها لشباب جيراننا الذين يقفون تحت ظلها دون مضايقات أوإزعاج.. أشعر أن حي المحيشي مبالغ في نعته بانتشار الفساد وكثرة الانحراف فالسفر والإيجار جعلاني اسكن أحياء كثيرة في مناطق عدة شهدت فيها مجموعة من الانحرافات لم أشهدها بحي المحيشي.. أتكلم عن الجهة التي قطنتها.. كلهم جيران عشرة عمر.. ينتشر بينهم الحب والحياء ويمتازون عن الأحياء الأخرى بمؤازرة بعضهم البعض، أبواب البيوت كلها مشرعة لا تقفل إلا بعد العاشرة مساء وحتى النساء يجلسن أمام البيوت يتسامرن في فصل الصيف بصورة حميمية وبشكل غير محرج فالأسر قد قضت أكثر من أربعين عاماً مع بعضهم ويزيد دون أن ينتقل أحدهم من منزله أويبيعه..

الشيء الذي كان يزعجني حقاً هومواء القطط ونباح الكلاب آخر الليل والبعوض الآتي من برك مياه الصرف الصحي المتسربة من خزانات البيوت وأيضاً المياه المتراكمة من تنظيف البيوتات وغسل السيارات التي كونت بركاً راكدة شبيهة بالمستنقعات وكذلك أكوام النفايات التي لا تنتهي.. أري الجرافة وقد كشطت كل القاذورات وفي طرفة عين أجد القاذورات تعود أكداساً.. لا تدري متى وكيف تكدست مجدداً؟.. فالباحة التي قبالة بيتنا كان يفترض أن تكون حديقة عامة تتوسطها ملاهي أطفال وفقاً لمخطط البنية التحتية المقترح حين بناء الحي وقد تم في أكثر من ميزانية سنوية من الدولة تخصيص مبالغ ضخمة لهذا الأمر ولكن للأسف فمنذ عهد الدودش والكمادي والدباخ إلي عهد الليبرا والنقيزا وقريباً سنبلغ عهد الدودشة الثاني وحي المحيشي ككل عام تمنح له الميزانيات من مؤتمر الشعب العام ولا نري أي إصلاح أوتعمير سوي قبيل موسم الشتاء يحفرون ممرات ببعض الطرق كما لوكانت خنادق حرب.. ويضعون اللافتات والقضبان الحديدية وتتعطل حركة السير بل وتكثر الحوادث وتزدحم الطرق التي أمام البيوتات وكله دون جدوى.. أعتدنا هذه الأخاديد وما عادت تفرحنا هذه الحملات من التحفير في كل عام.. ونريد أن نسأل أين ذهب مال الحدائق والمجاري والبنية التحية أم أن سكان المحيشي ليسوا بشراً وليسوا ليبيين؟.

ركبت حافلة ربع دينار لتقلني لمستشفى التأمين لمعالجة طفلي جبير وكان الطقس بارداً وقد بدأت أمطار غزيرة بالهطول فعندما اقتربنا من الحفرة العميقة التي يعتذر أي سائق أجرة عن إيصالنا لحي المحيشي بسببها.. اللهم إلا سائق راقد ريح وإلا واحد واخذ جوه لا يفرق بين الطرق المعبدة والمحفرة، فهؤلاء حتماً يشعرون بمعاناتنا.. عندما وصلنا الحفرة المشهودة أقسم أحد الركاب أنه قد حضر العام الذي خدد فيه

وجه هذه الرقعة من الطريق فلقد كان بالمرحلة الابتدائية يدرس في مدرسة بورحيل أوائل السبعينيات ومازال يذكر أسم التشادي الذي قام بحفرها بنية الإصلاح الغيبية ويدعي «تشيدما».

عدت من المستشفى وعدت لأهل بيتي الطيبين الذين أنسوني حفر الشوارع وقرص البعوض الذي لم أتعود الحياة معه في طفولتي، ما جعلني أحتمل كل ذلك هو أهله الطيبون.

مازالت عادة الذوقة تنتشر بينهم فأبداً لا تنسى عمتي أم زوجي أن تذوق من الدالية الحوامل اللائي يزورونها وينظرن للعناقيد خلسة.. لم نكن نستعمل المروحة في بيتنا بالمحيشي فهوكثير النوافذ ومشربياته تجلب الرواح.. وها نحن قد تركناه لبعض الظروف وجئنا لبيت ضيق أجرته غالية.. حمداً لله على كل حال (رب ضارة نافعة) فالحسنة الجميلة التي فيه هوقربه من البحر.. ولم يمض وقت حتى كسبنا معرفة أناس جدد طيبين ولقد أعجبتنا كثيراً الجوامع القريبة منه والتي تخصص الخلوات لتعليم النساء أمور الدين وتحفيظ الأطفال القرآن.. الحمد لله يوجد قرب بيتنا مسجد صغير.. وابنتي لن تكون وحيدة كذي قبل.. فقبل اشتراكها في دروس الجامع كانت قد عقدت علاقات صداقة ظريفة مع بنات الشارع جعلتني اطمئن ولا أخشى عليها من الضياع، صار الجيران جميعهم يعرفونها ويستلطفونها فهي ككل الأطفال الصغار جريئة وعلى فطرتها وكثيرة السلام فكل كهل تراه تعتبره جدها وتهرع لتقبل يده وأحياناً تجلس بقربه وتجعلنا ننتظر واقفين في الشارع وكل سيدة مسنة هي جدتها وكل فتاة هي خالتها وشباب الشارع كلهم أعمامها وأخوالها وجميع الأطفال هم إخوتها وأخواتها.. تذهب إلي المحل الملاصق للبيت وتبتاع منه غرضاً

ينقصنا وفى أيام العطلة إن لم نذهب إلى البحر تجلس مع أقرانها وقريناتها على المصطبة أمام البيت يتبادلون أحلامهم وأمانيهم عن المستقبل وإن ذهبنا إلى البحر فعلى شاطئ تلتقي بصغار كثيرين لا تعرفهم فتلعب معهم بأخوة ولا تفرق في اللعب مع الجنسين وبل لا تخجل في تقبيل الصبيان من سنها ومعانقتهم.. في الأيام الأخرى غير الجمع والعطلات ترى من نافذة البيت البنات بعد صلاة العصر ذاهبات للجامع زرافات زارفات لحفظ القرآن الكريم.. فتصرخ ماما وقت الجامع هلّ.. أترك صغيري جبير نائماً بيدوكصوص مبلل من كثرة العرق، أتركه وأخرج لأصطحب أخته المشاكسة إلى الجامع لتقدم اعتذارها لشيختها بسبب خلعها لمنديل شعرها في اليوم الماضي في الخلوة وشقاوتها المتكررة والتي تطورت لصراخ أضطر الشيخة أن تعاقبها بحرمانها من المجيء إلى الخلوة في اليوم التالي، لكنها بدت متذمرة لهذا العقاب.. تبكى متألمة كلما عاتبناها وتدفن وجهها الجميل بين كفيها الصغيرتين وتحتج على لفظ بنات الجيران رافضة بشدة بكلتا يديها بحركة جنونية وكأنها ستطير طالبة منى أن أمرهن بعدم تكرار جملة (الشيخة لزت مهجة) (خلاص ماما الشيخة فردوس سامحتني أنا نحبها كبر السماء ماما).

لم يمض طويل وقت على مداومتها حتى حفظت ستة سور من السور القصيرة ولم تتخلف في الذهاب إلى الخلوة في أي يوم مما سبق وأن قضت قيلولتها متأخرة ولم تنم سوى ساعة ألا ربع.. مجرد ذكر كلمة جامع تهب واقفة.. أحضر لها والدها نوعين من أعواد البخور الهندي والباكستاني وكان سيحضر لها ورق لف الهدايا ولصقة شريط شفافة لولا أنه وجد القرطاسية مقفلة فلم يشأ إحباطها.. وأحضر لها ورق القصدير الفضي الخاص بالشواء.. ألبستها جلبابها الذي

طلبت منى رشه بالزهر وتبخيره كما رأتني أتعامل مع رداء وفراشية جدتها لأبيها ففعلت ووضعت لها منديل الشعر الأبيض على رأسها فسحبته محتجة لتثبت الدبوس بنفسها.. (أنا ندير اللبوس بروحي)

عادت إلى تطلب منى تثبيت الدبوس بمنديل شعرها.. حضنت هديتها وأغلقت الباب بهدوء لئلا يصحو جبير من نومه.. ولجنا الباب المخصص للصعود إلى الخلوة.. في المدخل عدد من دورات المياه.. والى الأمام مصطبة تجتمع عليها الصغيرات ويتم تمريرهن أربعة أربعة من قبل شيخة صغيرة لتحاشى الازدحام.. صافحت مهجة مجموعة من البنات اللاتي بجانبها.

سألت الشيخة الصغيرة:

- هل ستتأخر الشيخة فردوس؟
- هذا موعد قدومها.. تفضلي بالصعود بإمكانك انتظارها بالصالة.
- مازلنا بنصف الدرج والشيخة فردوس قد هلت هاشة باشة وفرحت بقدوم مهجة انحنت مهجة وقبلتها واعتذرت منها بعد أن سلمتها هديتها التي قبلتها منها بتواضع بالغ شاكرة ووعدتني أن تحاول التكيف مع مهجة فهي الطفلة الوحيدة بالخلوة التي قبلتها بسن ثلاث سنوات وخمسة أشهر.. الباقي كلهن في الصف الثاني الابتدائي ويزيد أي عمرهن ست سنوات وسبع وثمانية.

عدت وولجت المفتاح في ثقب المفتاح فانفتح الباب وقابلني ابني جبير الذي أقلقته غزارة العرق والحر وسكون البيت فاستيقظ.

سعدية

جاءت سعدية من جزيرة سعود بمصر ولم يتجاوز عمرها الثالثة عشر عندما تزوجت من رجل ليبي يدعى عطية وهوسائق شاحنة بسوّق الخضروات والفاكهة بين مصر وليبيا، توفى إثر حادث سير بعقبة الباكور أثناء عودته من مصر بشاحنة محملة بعبوة فاكهة (المنجا) تاركاً لسعدية ثلاث بنات وأربعة أولاد..

بعد إتمام عدتها بستة شهور تزوّج بها شقيق زوجها حفاظاً على ذريّة أخيه من التشتت وحتى لا يتربّوا في حضن غريب.. وضع قيمة التأمين بالكامل في جيبه وكان يشرب الكحول ويعشق المقامرة عاشت معه تسع سنوات أنجبا خلالها بنتين وولد.. لكنه بسبب الخمر والقمار أفلس وتراكمت عليه الديون.. واضطرت والدته لتصرف عليه وعلى أسرته فباعت أغلب حليها الذي كانت تجلبها وزوجها قبل وفاته من تركيا والسعودية.. كان سيبيع الدكان وهوكل ما تبقى لديه لولا أن المرض اشتد عليه ونقلوه لقسم العزل بمصحة الكويفية وهناك لم تمض أيام حتى فارق الحياة.. حزنت زوجته سعدية كثيراً واضطرت لبيع الدكان وسددت الديون المتراكمة عليه كي لا يتعذب بسببها في القبر ولم يبق لها سوى مبلغ زهيد صرفته على (الجياي والمشاي) وها هي عمتي سعدية تصرخ على الورقة لتكمل قصتها:

- قعدنا نتلطوا لاحوش ولامعاش ضمان.. صلى

وأرفع صباطك... الله يرحمه ماكانش داير حساب لِهاليوم خلاها أخلى من جندوبة..

صار الجميع يتطيرون منى وأطلقوا علي لقب قاتلة الأزواج والحاجة جدة الأولاد أصبحت لا تطيق النظر في وجهي:

- راس وليدين (نحلف بروسهم ما نحنث) (ونشوف فيهم كيف الميّة الشويّة رزيتيني فيهم يا وجه النحس).

طردتني من بيت العيلة واحتجزت أولادي عندها وحرمت علي رؤيتهم حولين وعشت مع صديقة مصرية هي جارة خالتي في الصعيد.. وقفت بجواري تحملت مصاريفي البسيطة وعلمتني عجن وخبز الفطير المشلتت والكعك المصري بالتمر والحلقوم وصارت تأتيني طلبيات لا بأس بها.. لكن ربنا على الظالم والمفتري ياخيتي وسبحانه وتعالى ما يسيبش المظلوم هكي وذات عشية بعثت لي جدة الأولاد سلام وسماح مع أخيها الحاج محمود وتطلب منى زيارتها على عجل لأن جلطة فاجأتها وألزمتها الفراش، سبحان الله البني أدم ما يتحمل غير ذنوبه.. عانقتني بيد واحدة وقبلتني قبلة مائلة وكلامها لم يكن واضحاً ولكنى فهمت من لهفتها أنها تستسمحني وتشير بإصبعها إلى عينها بعد أن أشارت إلى أحفادها.. أن أبقى معها لتعيش باقي أيامها بونسة أحفادها الذين دائماً تصفهم بضيء عينيها.. منحتني الجدة ماكينة خياطة وساعدها أخوها في بيع أسورتين من الحجم الكبير عيار 21 قراط واشتريت أقمشة من سوق الجريد وكنت أحيك سراويل عربية من قماش الشولاكي وفساتين نسائية من الباصمة والباطيستا وألحفة صيفية وأغلفة وسائد وأشتغل مفارش عدالة بإبرة الكوريشى.. زاولت حرفة الخياطةِ إلى

جانب خبز الحلويات.. وكانت تساعدنا الحاجة بمعاش الضمان الـذي كان لا يكفى لسداد نفقات علاجها.. لم تعش بعد مرضها بالجلطة سوى تسعة شهور.. وعشنا من بعدها في البيت وتعاطف معنا الحاج محمود الشقيق الوحيد للحاجة وإذ بعمة أولادي تعود من مصر بطفلين مطلقة وأصبحنا في مشاحنات واتهمتني بسرقة ذهب أمها الذي كانت تبيعه هي بمحض إرادتها لتساعد في نفقات البيت والأولاد.. خرجت للمكوث مجدداً مع صديقتي صحبة أولادي فاستضافتني أسبوعاً فقط ثم اعتذرت قائلة:

- لما كنتى لوحدك ياسعدية شلتك على دماغي فوق لكن توا ماعدش ينفع اعذريني يا أختي.
- (جت الحزينة تفرح ما لقتلهاش مطرح).

خرجت للبحث عن عمل بشهادة بعض الجويرات اشتغلت مساعدة طباخة وغسالة أمواعين أي (أواني) في عرسين من نفس الشارع وكنت في كل مناسبة أعرض خدماتي على من حولي أحيانا أتحصل على عروض مغرية في أحدى بيوتات ميسوري الحال فلا أتردد في قبول ما أكلف به من عمل كغسل الأواني الكبيرة فقط من طناجر وقصع وسفر وغسيل البسط والستائر وتلميع الأبواب والنوافذ ومواقد الغاز أحياناً لثلاثة أيام وقد يمتد لأسبوع.. وعندما أجد وقتا أعود للتريكو والكورشي ولكني لا أبيت خارج غرفتي مع عويلتي قط.. دفعت مبلغاً لصديقتي لتمهلني وأطفالي فرصة لتأجير منزل وتوا ساكنة في خرابة ولازم علي أن أدفع أول كل شهر مائة جنيه وآه فات أسبوع على التسديد شن اندير ياخيتى والله يرميني في الشارع أنا وعويلتي كان ما ندفعله أول بأول.. (الله غالب) عندنا انقولوا (عمر الشقي

بقي) وهنا يقولوا (في اللي عظمه عظم شقاء) وايش اندير ديمة راقد الريح مستوطين حيطته لا والي ولا تالي غير ربى حامده فضله وشاكره.. وما نيش عارفة شن اندير ياخيتي.!! سامحيني وجعتلك قلبك ونفختلك رأسك لكن ارتحتلك وانت سألتيني وأنا جاوبتك..

أصبحت حياتها صعبة بعد فقد زوجها الثاني والعمل المتعب المتواصل أنهك قواها أصبحت تعانى من تهيج يديها من جراء الإفراط في استخدام المنظفات وهوما يعرف طبياً بالإكزيما ولديها تمزق في أنسجة الظهر ودوالي بالساقين لكنها لا تلتزم بتوجيهات الطبيب لأنها مضطرة لمداومة العمل لتغطية نفقات الدارسين من أولادها.. ولتوفير مستلزمات ابنتها الصغيرة التي تداوم على حفظ القرآن في المسجد المجاور.. وآه يا حياة دارت الأيام سريعاً.. والأولاد تعلموا وشقوا طريقهم في الحياة.. والبنت الصغيرة حفظت القرآن وصارت شيخة تحفّظ أطفال الحي القرآن وتتقاضى مرتباً محترماً من هيأة الأوقاف.. سعدية الآن سعيدة.. وتستعد للحج.. فلقد كسبت القرعة هذا العام.. مثلما كسبت شرفها وعزة نفسها وحب أطفالها الصغار.

شاطئ حار وطفولة منعشة

الجو حار جداً.. ونسبة الرطوبة عالية هذا اليوم.. البحر أمواجه هادئة.. ومياهه (زويتة) الصفاء كائن شفاف تستطيع أن ترى ما بداخله دون أن تنوى ذلك.. الطحالب تتراقص على إيقاع شجي هادئ.. قلوبنا تصدح بالهوى.. أما أجسادنا فتنز بالعرق (مسكّتة لا ريح ولا رواح كان مايرحم ربي) الشيء الجميل هورائحة الطحالب المنشطة لغدتي الدرقية والجلوس على الشاطئ ورجلي تلامسان الماء طوال الوقت شيء يبعث البهجة والحبور في نفسي.. ويجعلني أتذكر جدتي عندما كانت تعوم بردائها وسروالها الشولاكي الذي امتلأ بالماء وزاد عليه الضغط فتمزق محدثاً صوت فرقعة بسيطة انتبهنا لها وأخذنا نقهقه فهي قد تفاجأت وخال لها أنه صوت (جولاطينا) أحبتي أتحسر هذه الأوقات فالمشي على الشاطئ كما في فصلي الربيع والشتاء غير ممكن ولا جمع الأصداف والقواقع متاح ولا حتى السباحة بملابس خفيفة.. الشاطئ مزدحم أكره التقيد بالملابس التقليدية وأهوى السباحة بحرية فذلك ممتع ومريح.. لهذا أفضل الشواطئ المفتوحة التي تبعد عن المدينة كبحر قمينس ورأس الكبش وشط البدين والحليس ودريانة وطلميثة وسوسة والحمامة ورأس الهلال أفضّل الذهاب إلى الشواطئ المفتوحة على ارتياد الشليهات والمصائف والقرى السياحية المكتظة.. الأطفال عراة يسبحون أمامي والشاطئ امتلأ بالخيام.. الرمال ساخنة تلسع.. العفس عليها كما لوكان وطأ على جمر.. أوان الغروب بدأ

ت القصاع المليئة بالطماطم والبصل والخيار والفلفل الأخضر تخرج من الخيام فجرت العادة أنّ (الشرمال) وهومن يقوم بإعداد الشرمولة ينزوي بعيداً عن الحضور وخاصة الأطفال لئلا تتناثر حبيبات الرمال في الشرمولة فيضربون عن أكلها معلقين (شرمولة تقزقز.. رملة صافية) تسألني ابنتي وهي تتأمل وهج الغروب الوردي إلى أين ذهبت الشمس فأجيبها ذهبت لتشرق على أناس جدد فتستوعب المعلومة المبسطة ناظرة إلى السماء وتقول (ماما الشمس تعدى للناس ونحن إيجينا القمر) عدت وأطفالي، منهم من عاد بكيس يحمل فضلاته (قشور البطيخ والموز وعلب العصير وأكواب الزبادي أما البذور كقلوب المشمش والخوخ والبرقوق (العوينة) أحبهم أن يرموها على الشاطئ فقد تنبت وتصبح شجراً يظللنا على الرغم من الملوحة.. البذور ألباب والألباب قلوب والقلوب لن تطرح سوى الخير والنماء.. أولادي كأي أطفال تختلف طباعهم.. فمنهم من يتخلص من نفاياته في البحر لتكون طعاماً للأسماك مقلداً بذلك أبيه.. ومنهم من يرميها على الشاطئ فوق الرمال ومنهم من حرص على جمعها في كيس النفايات وفى طريق العودة سألني جبير وهوأشقاهم.

- ماما البحر ولد أم بنت؟!

أحرجني بشقاوته كيف لي بمعرفة جنسه.. تقلبت في فراشي.. في ليلى وقيلولتي.

أثار سؤاله فضولي ولكنى فعلاً.. لا أدرى إن كان البحر ولدا أم بنتا؟

سأسأل الأمواج المتوالية التي ترميني بالرذاذ.. والتي أجابتني مراراً.. مرة بولد ومرة ببنت.. ذهبت لأخبر صغيري بالإجابة فوجدته نائماً وبين حين وآخر يبتسم لا إرادياً.

أحزان قديمة أقتلعها الصباح

رأسي مصدوعة.. حزينة ومهمومة.. يبدوأنّ الشراب الذي تعاطيته مستحضر من فاكهة جذورها راسخة في تراب مقبرة عتيقة.

هل أهذى الآن.. أم أنها أضغاث أحلام..

الكوابيس تطبق على تملصاتي فأستسلم للمصير.

أنا نائمة.. حزينة.. الصباح هذا والصباح ذاك.. زمانان لكل منهما طقوسه وطزاجته.. استيقظهما برغبة.. أستنشق من زفيرهما المنعش وعندما أزفر لا أزفر استنشاقاتي.. لكن أحزاناً قديمة أقتلعها الصباح.. الصباح هذا وذاك من أغوار صدري.. ماذا لوكنت صباحاً.. هل سأزفر للآخرين شروقي؟

أين شمسي يا ترى؟

أين؟ أين؟

أين أمي؟.. وكيف هوالبرزخ؟!

الفرح يقتلني يمزق بسماتي فتقهقه حزناً.. فلا أجد أذنا تقبلني ولا منديلاً يمسح تناثرات لعابي ودمعي.

نائمة أنا في الغرفة وحبيبي يقرأ دون كيخوتي وفجأة قفزت أكتب نصاً عن الرمال والنمل.. عن الذريرات المتساقطة من سقف بيتي.. أنقلها إلى أحلامي تمكث في مخيلتي.. أخاف عليها فاستشعاراتي

تتنبأ بقدوم الكوابيس أدخل إلـى النوم فتخرجني يقظته.. هذه الساعة يكتب أقبّله متمتمة.. أكتب حبيبي ودعني أنام وأن هاجمتك الكوابيس هزهز روحي فسيوقفها صراخي.

هكذا كانت أمي توقظنا من كوابيس الامتحانات وبعدها تعانقنا بحميمية وتسقينا شربة ماء مبسملة خازية للشيطان وتقرأ المعوذتين والفاتحة وتمسح على رأس ووجه من فزع منا.. ومن بعد أن غادرتنا من دون رجعة أخذ أبى دورها لكنه منقوص نوعاً ما.. فهويخشى الدخول وأنا نائمة!! وذات ليلة أفقت من كابوس مزعج صارخة.. لا.. لا.. لأرى أبى واقفا أمام غرفتي والدمع يترقرق بعينيه والحزن يعتصر قلبه.. ربت على كتفي وقبل جبيني بحنو قائلاً:

- يابنتي لابد أن تقرئي المعوذتين قبل أن تنامي وأن تغلقي باب شرفتك وتطفئي النور رحم الله والدتك كانت تقوم بكل ذلك ومريحتني من هذه الأمور التي تحتاج إلى امرأة.

أجد خيالي يحملني على أجنحة الخيال ويحط بي على شاطئ البحر حيث كنت أقف مع خطيبي متمازحين تارة ومتخذي مظاهر الجد تارة أخرى.. كثيراً ما نختلف في موضوع رمى الأوراق والمناديل في الشوارع.. فعدم رميها من شأنه أن يساعد في نظافة البيئة.. فيجيبني ماذا لواستبدلنا المناديل بالمسح في الأكمام والكتابة على الورق بالكتابة على الرمل وأريحني من هذا الصداع.

لا أتركه يرمي شيئاً في الشارع وأتناول منه المناديل وعلب العصير لأضعها في كيس وأبحث عن عربة أوبرميل قمامة.. نذرع شارع جمال عبد الناصر.. شارع عشرين.. شارع عبد المنعم رياض.. عمر المختار وعمروبن العاص.. عربات القمامة غير موجودة والموجودة فائضة..

لا نجد أين نرمي قمامتنا.. نقرر أن نرميها في البحر.. لتحرقها نار الملح.. النار متمردة.. تدخن (كفحم مرعوب) والجو يستعطفنا.. كفاني تلوثاً.. الأرض.. السماء وما بينهما.. عالم الأحلام وأحلام الخيال.. الكل يصرخ في وجهينا.. كفانا تلوثاً.. أكياس أخرى نجدها ولا نجد أين نرميها.. نبقيها في أيدينا.. في يدي كيس.. الكيس يتورم ويدي لا تزال مطبقة عليه.. النقاء يمنعني من رميه في أي مكان.. أين هوالمكان الذي يقبل قمامتنا.. سنقتات على أنفسنا.. سأكظم مشاعري كي لا أبكى.. المشهد فظيع تخيلته في الأحلام.. سنجوّع حناجرنا من زاد العبرات.. نجفف عيوننا من الدمع.. ستتحجر لكنها سترى لا تخافوا.. أنا على سلك حائر أنفض أجنحتي من قذى التفاهات.. أكاد أنفجر.. الكهرباء لا تكهرب الضوء هكذا أخبرني.. ما حولي ظلام.. مأمولي أنت شمعتي.. سلكي الذي أقف عليه وأرقص.. صراطي القريب.. أريد أن أسقط.. أحياناً لا أحب القفز.. أحب ما يخشاه الآخرون.. لقد لمحتك في أحلامي تحت.. لابد أن أسقط.. حبيبي هل أنت شبكة تنتظرني.. تعصرني.. تخنقني.. تبحني.. تبحث عن تملصاتي فلا تجدها.. لكن تطبق رغم أني استسلمت لك أو بالأحرى.. اقتنعت بالمصير هذه المرة.. أنت مصيري وصيرورتي.. بجانبك أرى كل شيء أرى وأبتسم.. أرى هذا العالم الحزين الذي لم يختر مكانه ولا زمانه ولا حتى طعم هواه أولون سماءه وبحره.. لا فراش أنفضه.. وسادتي حشوتها ريش ودم هكذا أخبرني عندما سألته ذات يوم عن كوابيسه المتلاحقة ونومه المتقطع.. أردف شاداً بما بقى من شعيرات برأسه كيف ارتاح في نومي ووسادتي حشوتها ريش ودم!!

البحر لفظ كيس قمامتي.. ريشي ودمي تبعثر على الصخور..

المكانس عجزت عن لملمته.. لكن الهواء رفع الريش والدم وإلى أعلى.. الآن أرسم على شاشة حاسوبي سماء زرقاء مليئة بالطيور الطائرة المهاجرة والعائدة من هجرتها.. زقزقة تصم الأذان وخفق أجنحة يصنع زوبعات تجعل الأمواج تتعالى فرحاً.

- استيقظت الآن وفي ذاكرتي بقايا من كلس الذكرى لم يتجاوز مخيلتي بعد.. سأبدأ من المنتصف الأمر محسوم مذ صرخ حبيبي بكلمته الأولى.. فهناك ثمة فراشات تعضعض رهافة الانتعاش.. هكذا في غمضة دفق ينهار كل شئ.. ليس الزئبق المتمدد والمنكمش هوالوحيد.. ثمة عصافير مصوصوة ستتقر إغفاءة الوقت.. لكن من أين يا حسرة؟

فالكل يغوص.. رميت حصوتي فغارت في الرمال مصعّدة بضع حبيبات وفقاعات تنفجر على طحلب قبيل الارتقاء.. من يضمد الطحالب؟ الشمس لا أظنها تفعل.. من أذن؟ قطرات عرق ذرفتها وتركتها تتلوى تتسحق تتسابق للعدوصوب مطاحن مساماتها.. يسعدها التقافز.. فهي تعرف أنها لم تُذرف سدا.. القطرة الأولى خرجت قبل أوانها في غفلة من عين الشمس.. قراصة البرد تلسعني.. لكنها اندلقت كأي مجهول ينزلق من رحم الغيبوبة.. أقترب أقترب.. أطوى صاري السأم بالشهيق.. صخب الديمومة يجبر بالونات دقاتي على الفرقعة أبر صمت غاصة بالعقد.. ابتعدوا أو اقتربوا سأفتح لكم صفحات انتعاش نتقايضها مع زفير النباتات.. لكن الصمت ينفخ بالونات دقاتي.. الإبر تبكى فتضيق ثقوبها وعقد الأسلاك تبحث عن أنامل ليست معقودة.. يسيل الدم من ظفري الميت ويسيل العرق من وجهي الحي.. اختفت القلامات والمناديل اهترت.. لا تغضب يا

عرقي فحتى الحلاقين سوقهم بارت.. لا بأس سنستخدم الاستنساخ لتحسين شهامتنا.

أريد أن أمزق لأخرج لأشمّ ما ألففك يا حبلى السري.. كلى أدور في عرق واحد..أحن إلى الخلف وعاجزة.. ماله مرفأ ذكرياتي يتباعد كلما شهقت.. الذكريات مواليد جديدة.. أراها تتسى أباها وتنسف جذورها.. تنضب أمام الاغماضات وتتملص كلما أمتد لسان الخيال.. خيال الوجود ضيق.. أكره الضيق وأحبه.. سأثقب بكارته بظفري ولكن سأنتظر الاتسباع.

تمّ استنساخ جينات الخلاص وعبر مكوك العالم العذري انطلقنا، نخلّد جنوننا على حلمات السماء، مبتعدين ما استطعنا عن وحل اليباب.

- بعد قليل سندخل منطقة مطبّات هوائية.. على الأخوة الركاب ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين داخل دورة المياه.

وسط جوروحاني.. تفاقمت همهمات الركاب.. حلوى الوهم وزعتها المضيفة باستعجال.. نقّلت طرفي صوب طفلة عبثت ريشة الصراخ بملامحها.. أبوها بحنويريت على ظهرها وأمها تهيأ لها الثدي الزجاجي.. رائعة هي السماء.. استقبلتنا بحفاوة غيماتها الغاردينية.. فضاء خصب آمنت بإدراره الكريم.. هذا المخلوق المستوعب للشتات متغاير الدسم دون مضض.. فالمكوكات وحدها الغازية لطبقات التعنصر.. قاصفة قمع الهويات بحجتها البالغة.

أوه بوفيه ظريف تدفعه بتؤدة أنامل رقيقة بيضاء.. أحدهم أخفق الهمس

قوقعة صديقه سئمت التعاطي.. أهتزت أوتاري المدهلزة ليصلني همس مشبوب باللابراءة.

المضيفة ترمق الطفلة المهدهدة بين أحضان الملائكة.

- ما شاء الله.. ربى يصون.. شاي أوقهوة..
- كوب لبن من فضلك.

غادرتنا بابتسامتها المتألقة إلى قمرة القيادة مسدلة الستارة البيضاء على باب ركاب الدرجة الأولى.

- مساء الخير عزيزي الكابتن..

شفتاها الخمريتان أفترتا عن ابتسامة ساحرة.

- مساء النور عزيزتي.

لدغ الجوع وخّاز للأفواه الراشفة.. ضغطت الأم زر الخدمة والمضيفة تمغنطت ذبذبات قلبها.. الأيادي.. القلوب.. ضغط.. ضغيط.. أتت المضيفة مسرعة.. أشعر برغبة في القيء.. أحضرت لها كيس القيء.. مطبات هوائية.. الطائرة تهتز.. تأكد من ربط الأحزمة.. نظرت من النافذة.. سحاب أبيض كثيف.. طيور ترتطم بنوافذ الطائرة.. ريش يتناثر.. دم يتناثر.. السحاب يتلون.. وأفرغ ما في جوفي داخل كيس القيء.. أريد جرعة ماء.. أمسح فمي.. وتناولني المضيفة كوب الماء البارد.. أشرب منه.. وأضعه في كيس وحمي.. تحط الطائرة في مطار الأمنيات.. ننزل منها.. في يدي كيس القيء وجواز سفري وفي يدي الأخرى حقيبتي المملوءة بالمناديل والكحل والسواك واللوبان وقليل من أوراق حناء خضراء قطفتها قبل ركوبي من مزرعة جدّي بمدينة زليتن، المطار ليس بعيدا عن مقام سيدي عبد السلام الأسمر.. إنني أسمو الآن.. إنني أحط في عش قشه من نور.. من سلام.. تستور يا جدّي.. يا عبد السلام أحضر.. بيض يفقس.. عصافير تطير.

ولادة في غياب الأم

«مدرولة يا خالقي صفيها..

ضيقة خلوقي وين نجلى بيها»

- أدفع المال الآن وغداً سأحضر لك الوصفة..

هكذا أخبر العطار السوداني زوجي وأخبرني بدوره برسالة محمول، أتظاهر ببرودة الأعصاب وراحة البال أمام زوجي المتحسس من مسايرتي في الوقوف ضد الطبيعة ولكنى ماذا أفعل فحظي سيئ إذا ما حملت ستتشرد أسرتي، من سيغسل ملابس زوجي وإن كان لا يطيق الملابس المكوية حتى وإن فعلت فحتما سيلفها بطريقة تجعلها وكأنما لاكتها أسنان ماعز أوأخرجت من فم عجل جائع، هكذا نعبر شعبياً عن الملابس المدعوكة.. لكنه لابد وأن يستحم ثلاث أوأربع مرات يومياً مرة قبل مغادرته المنزل صباحاً والثانية بعد عودته والثالثة بعد استيقاظه من قيلولته والرابعة بعد عودته إلى المنزل مساء هذا بالإضافة أنه لا يطيق أكل المطاعم وإذا داوم عليه لأكثر من يومين فحتما سيصاب بالتوعك والإمساك.. أتساءل ما الذي سيحل بصغيري جبير الذي مازال رضيعاً وهو دائم المرض بسبب التسنين وحساسية بالصدر.. وابنتي مهجة التي لم تتجاوز الثلاث سنوات ونصف.. فهي مشحونة بطاقة حركية رهيبة «ماء شاء الله لا قوة إلا بالله» وكثيرة التساؤلات لا تجيبها عن سؤال حتى تطرح عليك

سؤالاً آخر.. ملحاحة ودائمة التذمر والصراخ.. فترة وحمى تمتد إلى خمسة أشهر مضنية نعيشها في أشد الضنك.. كم كنت أتمنى أن ينطبق علي المثل القائل:

"ثلاثة وحم

وثلاثة شحم

وثلاثة يتنقي العود من اللحم"

طيلة فترة الوحم أكره بيتي وتصبح كل أشياءه كما لوكانت متعفنة وحتى المنظفات رائحتها مقززة.. ولا أطبخ وأن طبخت رأفة بزوجي هذا إن نجى الطعام من الاحتراق فلا آكل طبخي ولا أكل الأكل المجلوب من المطاعم.. أنا الآن أتوحم، اشتهي مأكولات ليبية أصيلة، اشتهي المقطع أوالرشدة المبكبكة وهي أكلة شعبية تعد بالقديد بعد أن تعجن العجينة المكونة من الدقيق الأبيض المنخول بالماء وذرة من الملح ويفرد العجين بسمك واحد سنتيمتر وتلف وتقطع إلى قطع رقيقة تشبه المكرونة السباقيتي لكنها أرق سمكاً ومن ثم توضع في طنجرة الطبيخة التي نضج ما بداخلها من الحمص والفول المدشش والعدس والبازلاء الخضراء والجزر وسيقان اللفت والبطاطس والجزر وتقلب جيداً بشوكة من الخشب وتضاف إليها الخلطة النهائية المجهزة آنفاً وهى الثوم والحبق مع النعناع والفلفل المبطبط المسحوق في المهراس جيداً، ثم تترك لتبكبك قليلاً ثم يطفئ الموقد وتعصر نصف ليمونة ويرش قليلاً من مسحوق زعتر الجبل والقريصة.. بعدها يحرك ويسكب في قصعة خشب ويؤكل باليد مع مجموعة، أما الشرمولة وخبزة التنور الساخنة محترقة الوسط والأجناب تفتحان شهيتي شريطة أن لا أرى أي منها يحضر أمامي وأن لا أتناولها في البيت أنما

ـ﴿ غابة أوعلى شاطئ البحر كذلك أحب المعلبات والعصائر وكذلك الماء الذي أشرب منه قليلاً شريطة أن لا أشرب من الماء المجلوب من مكان بعينه أكثر من مرة.. ماء المطر.. ماء بئر.. ماء مقطر.. ماء الشلال.. ماء نبع أبولوبمدينة شحات قورينا الأثرية.. ماء عين الشرشارة.. مخلوط بالليمون.. بماء الزهر أوالورد.. بالملح.. وبعد هذه الرشفات التي أتحصل عليها تأتيني حالة تجعلني لا أطيق شرب الماء فأصاب بالجفاف وأمكث ـ﴿ المستشفى لأتداوى من اليباس وتسوء حالتي النفسية فأبدأ بالقيء وينتابني الغثيان من روائح الأدوية والتعقيمات والبوطاس والمطهرات وروائح الزوار والزائرات المختلطة من عطور وسجائر وعرق.. خاصة ـ﴿ وقت تنظيف العاملات ومرور الأطباء وأيضاً ـ﴿ وقت الزيارة حيث لا أفكر إلا ـ﴿ الهرب.. الشيء الوحيد الذي يريحني هوالنوم فمعه أبعد عن كل هذه الأشياء التي تكاد تفقدني صوابي أن كان هناك ثمة صواب مع ما أشعر به، لكن أين هوالنوم دلوني عليه.. ـ﴿ مثل هذه الأوقات أفتقد المرحومة أمي أكثر من ذي قبل.. أفتقد أختي التي رحلت أمي دون أن تنجبها لي.. أفتقد خالتي.. عمتي.. كل ما لدي حفنة صديقات يشددنا من أزرى بالهاتف.. الآن يكتنفني ضيق شديد يخنق صدري ويطبق على أنفاسي.. صدري ضيق وبيتي ضيق.. لمن أذهب ـ﴿ مثل هذه الأوقات؟.. سأذهب إلى مكان أحبه، إلى المقبرة، يريحني الجلوس فيها وقراءة الفاتحة وبعض مما أحفظ من الذكر الحكيم على روح أمي يرحمها الله وكل جاراتها وجيرانها من الموتى.. بعد انقضاء مدة الوحم أرتاح قليلاً ـ﴿ الشهر السابع ليس تماماً فالأمر لا يخلومن إزعاج الحموضة وتقلصات الرحم وانقباضات الجنين التي توقظ من كانت تغط ـ﴿ سبات عميق.. بعدها يأتي الشهر الثامن ليبدأ معه

انقطاع في التنفس ووهن في الحركة والنهوض ومع نهايته يزداد الأرق ويرتفع منسوب مياه الجنين لدرجة مقلقة وذات خطورة علي وجنيني، لابد وأن أقضى نهاية الثامن وأسبوع أوأقل من التاسع لأنجب بعملية قيصرية، صرت أرتعب من حجرة العمليات فلقد جربت التخدير بنوعيه نصفى وكامل وشقت بطني عمودياً وأفقياً أنجبت فيهما ذكراً وأنثى ألا يحق لي أن أجهض ما في بطني بدون تأنيب ضمير لكن لا فما ذنب المسكين الذي سنخنقه سأسمع بكاءه ومقاومته وتوسله وسأفضل الموت حتماً بدلاً منه كي يحيا ويعيش مغامرة الحياة، ربما سيكتب نصاً جميلاً أويرسم لوحة أجمل أويعزف لحناً يتغنى بالأمهات اللواتي من ضمنهن جدته أمي الله يرحمها بالطبع.

- هات ثمن الدواء ما عدت أريده تأخرت عن الموعد المحدد بيومين..

هكذا حاور زوجي العطار السوداني عبد الرحمن.. وذلك بعد زيارتي لطبيبتي د. حنان الفيتوري أخصائية النساء وهى التي تابعتني طيلة أشهر حملي.. إلى أن أنجبت واطمأنت على صغيري في حجرة الأطفال وصارت تهتف لي يومياً لتطمئن عن صحتي وتعرف تطور حالتي أول بأول.. طبيبة حنون.. صدرها يتسع لهموم الكون والوطن.. ابتسامتها تجعلك تشعر بمدى روعة الوجود وقدرة الخالق الذي وهب مثل هذا الثغر لمخلوقة لم تبخل بأن تشرق في وجه مريضاتها وتعرف كيف تحيل قلقهن إلى حالة من الإيمان والتصوف والرضا الرباني.. نصحتني طبيبتي بأن أكمل حملي الطبيعي الذي بلغ ستة أسابيع وهوداخل الرحم وبحالة جيدة..

- عليك أن تحمدي الله على هذه الهدية العظيمة التي منحك

إياها فما أجمل الأشياء التي يمنحنا إياها القدر دون أن نخطط لها.. كثر هن من يقمن بما تنوين الأقدام عليه وهن نادمات أشد الندم.. دعي عنك وساوس الشيطان يا أختي وتفاءلي خيراً.. الله كريم وفضله واسع.. قد يكون جنينك الذي تودين التخلص منه اليوم هوأصلح ذريتك.. من يدرى أنك ستجهضينه اليوم ولن تندمي على فعلتك لاحقاً..

وخيرتني بين أن أواصل مسيرة حملي وإن كانت مضنية فكله باجره إن شاء الله فأنام مرتاحة البال وبين أن أرتاح اليوم ويصحبني تأنيب الضمير طيلة حياتي على نفس أزهقتها بغير وجه حق وأخبرتني عن ابنها الذي أنجبته في ظروف صعبة ومماثلة حتى في طريقة الحمل.. وعن مريضات يزورنها وقد تجاوزن سن الإنجاب لكنهن يسألن عن عمليات إجهاض قمن بها في السابق وأقسمت أنهن يذرفن الدموع خشية ذلك.. لا تحملي مثل هذا الذنب فوق كتفيك.. وهى تجرى لي الصورة بالموجات فوق الصوتية أدارت الجهاز وحثتني على النظر إلى الشاشة.. هل تهن عليك هذه النطفة التي قريباً ستتخلق.. إنها ثمرة حب عظيم.. لن أفرط بها.. وخاصة أنها حدثت من الودى وليس المني فهذه المرة الأولى التي أعلم أن هناك أجنة يتملصون ليتفوقوا ويتركوا كل الحيوانات التي قد نتآمر عليها ونلقى بها خارج ملعب الحياة.. حيوانات تعرف ما تريد والسبيل إليه بالضبط.. صدمت ودهشت أيضاً عندما علمت بأن السائل القليل السابق للقذف والملين لعملية الجماع نسبة حدوث الحمل به خمسة بالمائة.. وهل كتب على في المرتين أن أكون من هذه الفئة القليلة النادرة الحدوث.. في الحمل مرة وفى ارتفاع منسوب المياه مرة ثانية الذي عرف علمياً منه أنه سبب تشوه الجنين كأن يأتي مانغولياً أويعاني ضمور في خلايا المخ

أوقصور فيها وما إلي ذلك من التشوهات العقلية والجسمية.. أما حالتي فلم يتوصل العلم لاكتشاف خباياها بعد.. هناك الكثير ممن صرفوا أموالاً طائلة من أجل الحصول على طفل ولوبأنابيب ومنهم من يمكنه سوى التوجه لدار الأيتام لتبني طفل أوطفلين ليعوله آخر أيام حياته.. بعد أن تأكدت من حملي.. عدت إلى المنزل وعاد زوجي إلى العطار ليستبدل التركيبة التي تساعد على الإجهاض بخلطة صبر مر والتي توضع على حلمتي الثدي.. تلك الوصفة الشعبية التي لها مذاق الحنظل أوالعلقم في فم الرضيع.. لعل مذاقها أمر من فراق أمي.. سرعان ما ترك صغيري جبير الثدي متقززاً من مرارة حياة لم يتعود عليها وبهذا تحقق الفطام.

الجوحار والرطوبة عالية للحد الذي لا يطيق فيه الإنسان نفسه فما بالك الحامل التي تشعر بارتفاع حرارتها أكثر من المعدل الطبيعي وهذا يحدث في الحمل جراء ارتفاع نسبة هرمون الأستروجين في فترة الحمل.. المطبخ ضيق جداً لا يتسع إلا لشخص واحد دائماً في اصطدام مع أبنائي.. أنا لا أطبخ فلا قدرة لي على تحمل رائحة اللحم والبصل فعندما تفوح من الطنجرة تجعلني أشعر بألم شديد في جوفي كما لوكانت أحشائي ستنقلب وما يزيد الأمر سوءا أنى لا أتقيأ ولكن ارتحت قليلاً وأن كنت لا أحب التقيؤ.. ليت الأمر يتوقف عند هذا الحد حتى رائحة الصابون بأنواعه السائل والمسحوق وصابون الوجه والبوطاس وكل المواد المنظفة والمعطرة حتى البخور ورائحة الزهر والنعناع التي أحبها كثيراً تعطينيإحساساً بالغثيان وشعور بالقيء لا ينتهي ولكن رغم أنفى أستعملها فأنا لا أحبذ غسل ملابس الأطفال في المغسلة وإلا قبلت اقتراح زوجي.. تهربت كثيراً من غسيل الملابس.. تفاقم الأمر.. ها أنا لم أشغل الغسالة لمدة أسبوعين

كاملين.. البيت صغير وضيق والملابس تكومت حتى صارت كجبل صغير مكومة بحجرة صغيرة نستعملها كمخزن.. الشامبوالوحيد الذي استسغته هو شامبو الأطفال (جونسون بيبي) وفى بادئ الأمر صابون الفانيك (لايف بوى) ولم أكمل الميلق حتى قرفته ولكن تظل حالتي أفضل من اشتهاء الصابون وأكله.. لم اشته الرمل كما فعلت صديقتي وما أكلت الفحم الناضج الذي كانت تشبهه أمي باللحم المشوي.. ولا كما فعلت أختي التي تغمس الفحم في النافطة وتأكله فزوجها سائق شاحنة.. ولم أقرمش الجاوي رغم أني فيتورية جدّي سيدي عبد السلام الأسمر ولا حتى الثلج كما يفعلن كثيرات.. ولكنى أشتهى أن أعض زوجي.. سأحاول التحكم في الحيلولة دون تنفيذ رغبتي.. (أنا مش هبلة عشان نعضه مرة أخرى.. ساد درتها في البكر خذا وجهه لطرابلس أربعين يوم.. يا بال توا جدد جواز سفره أكيد سيهرب للمغرب مرة وحدة)

سأذهب لغسل الأواني المتكدسة في المطبخ لأعيدها للجيران.. البالوعة طافحة وطفحت مرارتي معها.. وأخاف أن تتفقس فالتوقيت غير مناسب لاستئصالها.. لا فائدة سأخلط الألوان لمهجة وأعطيها فرشاة لتلطخ جدار غرفتها كما تحب وأعطى جبير العلب والقناني ليفتح ويغلق كما يحب بعد أن أضعه في سريره وسأعود لأكمل نقراتي التي أستلها من جب المعاناة والقهر.. مروحة صغيرة كانت تخفف عنى وطأة الحر جبدها جبير بقوة فأحدثت مس كهربائي أنقطع على أثره التيار عن المروحة.. معذرة سأسلخ عازل السلك المحترق قليلاً بأسناني فلا أحتمل رائحة النايلون المحروق وأنا بمثل هذه الحالة.. عزلت النايلون عن السلك النحاسي وثبته بالمحول الكهربائي.. دارت المروحة مجدداً وجلبت لي بعض الهواء الذي خفف عنى.. ما هي

إلا لحظات وسمعت جبير يصرخ صراخاً مبحوحاً.. ومهجة تصرخ بصوت عال

- خيي يا ماما يموت تعاليلا..

هرعت إليه لأرى ما الأمر فإذ به قد فك غطاء السرير ولفه حول رقبته بعد أن سلب سرواله ونكش قطن الحفاظ..خلصته.. وعانقته.. أخرجته من السرير سقيته رشفة ماء وحممته وألبسته حفاظاً جديداً وأطلقت سراحه وها هو يعبث بالكأس وسيطفئ الحاسوب حتماً كعادته.. ولكنه أطفأ المروحة هذه المرة.. زوجي لم يجد ما يلبسه فصار يغسل قميصه وتبانه وينشره بعد كل استحمام.. أما الأولاد فملابسهم كثيرة وحرارة البيت تلزمني أن أبقيهم بفرعة خفيفة للسترة فقط.. وهذا الوضع لا يستطيع زوجي المداومة عليه فهو يكره الأعمال المنزلية حتى على شاطئ البحر لا يعد الشرمولة.. ولا حتى الشواء الذي يعدني به في كل حمل دون أن يفئ بوعده.. ليس ببخيل فإنه يحضر اللحم والكبدة والفحم والقزير وكل مستلزمات الشواء لكنه كسول بكل ما تحمل الكلمة من معنى «يغرق في شبر أمية» «ويغص بالزبدة» وفي بداية وحمى صار هو الذي يتوحم لا أنا.. تأتيه الرسائل من أصدقائه بمصراتة.. طبيخة بازلاء بلحم جدي مع فلفل أحمر ماحق على نار هادئة.. مكرونة سباقيتي بصوابع قعود وطني.. وهلم جراهم يرسلون الرسائل وهو يحضر الناقص ولا يعود ألا بعد أن يطالع الصحف المحلية والعالمية على الشبكة العنكبوتية لصباح اليوم التالي وبعدها يبدأ معه يوماً جديد كما لوكان طفلاً مدللاً.. «ولدك عليش تربيه وراجلك عليش تعوديه» لا يخرج القمامة كما كان يفعل أبى إلا نادراً وعلي تجهيز الكيس..

أربطه وأضعه بالقرب من الباب.. عندما تركت بيتي القديم بالطابق الثاني لم أكن مسئولة عن تنظيف أمام البيت، أنظف الاستراحة التي أمام بيتي والدرج والسقيفة فقد ألفت عزوزتي أم زوجي ذلك هي وجويراتها.. أما في بيتي الجديد الباب على الشارع وإذ لم يكن أمام البيت نظيفاً فستدخل أوساخ الشارع والغبار وكل قاذورات المارة إلى وسط البيت.. انتظرته أن ينظفه دون جدوى.. عند خروجه أبسط استيقاف أوقطع لأفكاره يجعل منه إنسان آخر هولا يحب التوبيخ ولا يتفوه بأي لفظ خارج اللائق.. لكنه يقطب جبينه ويعقد حاجبيه ويزم شفتيه «يطرم شواربه» «من زبيبة يسكر» طيب وحنون لكنه لم يعتد على خدمة الآخرين.. كل ما عليه أن يحضر الأكل ولا ينقصنا شيئاً من خضراوات وفواكه وعصائر وحليب ومشتقاته ويدلل أولاده كثيراً بالحلويات والألعاب.. وإذا ما طلبت منه طلب بخصوص إصلاح خراب في المنزل حتى في أهم الأشياء يبدي تذمره ويضع وسادة على عينيه، أحياناً أجعله يبكى ليطفئ نار الغضب بداخله وأغلب الأوقات أمازحه فهوكطفل سرعان ما يغضب وسريعاً ما يبتسم.. ويعانقني معتذراً..

- معليش أنا نفكر في رواية جديدة وأنت قطعتي علي!
- سامحني سأساعدك حسبما أستطيع..

عندما يعود في القيلولة يأتي منهكاً «حالته تصعب على الكافر» أحياناً يقطع قيلولته وقد لا يرتاح لعدة أيام بالإضافة إلى السمر على مداومة القراءة والكتابة مع الجري على لقمة العيش فيصاب بالإعياء.. هوطيب ويحب الخير لجميع الناس وليس عدوانياً ولا فجاً كما يظهر في معظم كتاباته ولهذا أفكر في كل مرة أن أدعه لهوسه

الأدبي وألا أقف حجر عثرة تعرقل مسيرته الأدبية التي يحترق بوهج الحرف ليبدع ما يمتعنا بقراءته.. لكنه يترفز سريعاً حالما أعرض عليه هذا العرض وتترقرق عيناه بالدموع مومئاً برأسه بهزة عتاب مؤثرة لا احتملها..

- نهون عليك تسيبيني يارمش العين بعد هذا كله.

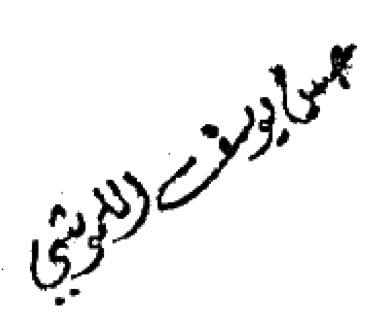
سرعان ما أرتمي بين أحضانه..

صرت كل بعد يومين أوثلاثة أرتدي محرمتي وجلبابي ثم أحبس جبير في سريره وأخرج للتنظيف أمام البيت ومعي ابنتي مهجة تساعدني بحماس، ورقة، قشة، علبة عصير يا ماما وتضعها في كيس القمامة الكبير، أكنس بالمكنسة الحرشة الكثير من الأوساخ.. شظايا القناني المتناثرة هنا وهناك إثر شغب المشاكسين وعبث المراهقين، الأوراق والأكياس البلاستكية، علب العصير وقشور الموز والدلاع والبطيخ الخ.. ثم أملا الطست بالماء وأغرف منه بكروانة صغيرة وأرش التراب وأنفض الغبرة عن باب البيت، كانت جدتي توقظنا صباح كل يوم باكراً "أكنس بيتك ورشه.. ما تندري على من يخشه".

انقطع التيار الكهربائي وانقطع معه سلك أفكاري.. وضعت شحنة غضبى في غسل الأواني ولترتاح أعصابي قليلاً ويخف قلق الصغيرين من شدة الحرورة.. ملأت لهم طست الغسيل البلاستيكي بالماء وصنعت لهم بواسطة صابون الاستحمام القليل من الرغوة وغطستهم فيه، يشلبطون بالماء ويعبثون بالرغوة ويملئون دلائهم الصغيرة ويفرغونها.. أنقر حروفي وثيابي مبللة فلا رغبة لي باستبدالها هذه اللحظات.. حنفية المطبخ تسرب الماء على شكل نافورة أحاول تهدئة ثورتها بوضع إسفنجة خلفها لتمتص بعض من الماء المتناثر هنا وهناك.. أتعرفون

أني أضحك من فرط معاناتي.. وأحمد ربي لعل في كل ذلك خيراً لي.. عندما كنت شابة كانت أمي تردد على مسامعي بكثرة "نقصي من الدلع والواحد يعيش كيف ما يلقى.. مش كيف ما يبي" أرد عليها غاضبة.. "كيف مانبي" زوجي في الأكل فقط مفرط وصريف.

- أن عجزت عن توفير منزل ومركوب لك فلا بد وأن المأكل والعلاج يكون بنفس المستوى الذي تعودتي عليه لئلا تختل كل موازينك.. الأكل ليس كل شيء «راحة البال نص المونة» لا يهمني ما آكله بقدر ما يهمني مع من والكيفية.. فهناك من تزوره ويقدم لك ما لذ وطاب من أصناف الطعام وخيرات الله.. سأغادر «ملف الوورد» صغيرتي تصرخ وتشاكس في كل لحظة..
- ماما هيا نقروا بطاقات الحيوانات والطيور!!.



بيت عيت السنفاز

الساعة قاربت الثالثة صباحاً.. الليلة شبه الفائتة كانت خميس، فليل حي الصابري لا ينصرم ألا مع طلوع الفجر، مؤكد ليس كل أهل الصابري ولكن على الأقل جهة سكناي.. بيتي أضيق من خرم إبرة.. لا ننام جيداً أنا وزوجي وأولادي بسبب صخب الشارع والحر الشديد الذي يعطيك إحساساً عند دخوله بأنك ولجت (ساونا)، المروحة ريحها ساخن والتكييف المركزي لا طاقة لنا لشرائه.. للبيت باب خشبي عتيق تزينه بعض المنحوتات الإسلامية وطقطاقة مستديرة على هيئة حلقة نحاسية يبعث فيك الدفء والطمأنينة.. خاصة أذا ما فتحته فأنه يفضى بك إلى الشارع مباشرة.. البيت مؤلف من غرفتين واحدة قبالة الباب خصصناها للأطفال وهم محشورون فيها كما الأسماك في علبة سردين.. لا نافذة لها فنحن لا نوصد بابها ونتركه مشرعاً طوال الوقت.. نافذتان صغيرتان أعلى باب البيت كما لوأنهما نوافذ بيت دمية نبقيهما مفتوحتين حتى أيام العجاج وأمام الغرفة سقيفة لا تكفى ليتمدد بها شخصان.. حوض لغسل اليدين ماءه دائم التسريب ودورة مياه أضيق من تلك التي بالطائرة والتي كنت أرفض التبول فيها عندما كانت تدخلني أمي إليها وأنا صغيرة، أقول لها لا أستطيع أن ألوث السماء.. أرفض وبشدة اعتقاداً أن ما أنزله في المرحاض سيسقط على رؤوس العباد فأقرر الاحتفاظ به في مثانتي وأول مرة سافرت فيها مع والدي إلى قبرص تبولت عندما

أقلعت الطيارة وخجلت كثيراً لفعلتي ولكن أحد لم يوبخني.. بعد أن سمح بفك حزام الأمان فكت لي المضيفة الحزام وصحبني أبى صوب الحمام.. ساعدته المضيفة في تنزيل الحقيبة الصغيرة من الجيب العلوى المغلق بإحكام.. نزع ملابسي المبللة وضعها في كيس أعطته له المضيفة وتخلص منه برميه في سلة النفايات وغسلني كما كانت تفعل أمي معي.

ولكن ما كان يشغل تفكيري طيلة الوقت كيف سأجلس في المقعد المبلل ثانية وكيف سينظر لي بقية ركاب الطائرة والطقم المشرف على الخدمات خاصة أنه من بين الركاب بنات وأطفال صغار.. يا شينك حشمة.. أني جد محرجة.. اصطدم شخص كان يمشي بممر الطائرة بأبي فقد كان يمشى ببطء وملتفتاً يلوح لأحد ما بيده ربما كان صديقاً له مردداً (أوكي.. أوكي) لكنه سرعان ما تدارك الموقف وابتسم مربتاً على كتف أبى معتذراً (معليش سامحنا) وما هي إلا ثوان معدودة حتى عانق الرجل أبى بحرارة.

■ أفندي فرج فرصة سعيدة (خلينا نشوفوك لازم انتلاقو)

وأخرج من جيبه بطاقة شفافة مدون بها رقمه وعنوان شركته بقبرص أعطاها لأبى الذي يسر دائماً للقيا من قام بتدريبهم عسكرياً يوماً ما فهولا ينسى وجوههم خاصة الخلوقين والمتفوقين منهم وحتماً حتى المعكوسين جعل لهم تقديراً ومكاناً مميزاً في ذاكرته فلا يمحى من ذاكرة المعلم أي أن كانت مهنته عسكرية أومدنية شيئاً من رحلة عمله المتعبة في هذه الحياة.. عدت لأجد المضيفة قد وضعت كيساً بلاستكياً كست به الكرسي وأسدلت عليه لحافاً قماشياً منعش الرائحة أجلستني عليه وقدمت لي قطعة صغيرة من الشوكلا المحشوة

بالبندق ابتسمت وسألت والدي

- هل من خدمة أقدمها لك؟

شكرها والدي ولوحت لها ممتنة بيدي فسقطت من يدي قطعة الشوكلا.

- مكثر حركتك ياودي (تقول مجيوبة على قرية نمل).

انهمك بنقر حروفي على الحاسوب وإذا بطفلتي تصرخ (ماما.. ماما) تركت حاسوبي وركضت لأحتضنها وأهدئ من روعها..أدخلتها الحمام تبولت ورشفت رشفة ماء ثم عادت لفراشها بصعوبة بعد أن تلكأت قليلاً في الصعود لسريرها تحاول جاهدة عدم النوم لتنتظر خروج أبيها من الغرفة كي تنام في حضنه أولاً وعاودت الصراخ بشدة مستنجدة (يا بابا تعالى يا بابا).. حياتي كلها صراخ.. صراخ بالداخل وصراخ بالخارج حتى القصة الأولى التي كتبتها كانت بعنوان صرخة.. أشتد الصراخ بالخارج.. مشادة في الشارع لسكارى ومتعاطين يبدوأنهم اختلفوا على بعض أقراص الروج وجوانا معمرة بالحشيش اختفت من جيب صاحبها في ظروف غامضة.. فهويصيح تحت نافذة غرفة نومي المطلة على الشارع..

- (هذا جوشين وأنا في عز الدوخة واحد مد يده لجيبي هذي خونة).

- (يا فلان وسع بالك الجوانا دخنتها من وقت المغرب على البحر مع صاحبك غير أذكر يا راجل).

- باهي حبتين الروج ملفوفات في قزير ماتقوليش زرطتهن يا أستاذ.

تعالى الصراخ أكثر واشتبكت الأيادي فخرج والد أحدهم من البيت المجاور ينهرهم ويوبخهم بكلمات قبيحة.. فابتعدوا عن المكان جميعاً مختفين في الشارع الذي يفضي إلى المدرسة ثم البحر، لكن صراخهم مازال يتعالى ففتحت من جراء صخبه أبواب كثيرة وارتفع أيضاً في نفس الوقت صوت أذان صلاة الفجر.. والد أحد الشباب المشاغبين يقول لوالد مشاغب آخر

- (العيال عيالنا لكن الراي مش راينا).
- (الله غالب ربى يصلح الحال).

الصغيرة نامت والصغير أفاق عطشاً فشربته من ثديي ثم من كوب الماء حتى ارتوى ونام.. عدت لأكمل سطوري فإذا بحبل أفكاري ينقطع والإلهام يغادرني دون وداع.. استلقيت على الفراش لعلني أنام على موسيقى شخير زوجي.. غفوت لأصحوعلى طرقعة بائع اسطوانات الغاز.. وجلبة عمال النظافة وهم يقذفون بجرادل القمامة الحديدية أرضاً فبيتي كما قلت يطل على شارعين وتحت نافذتي مجمع نفايات الجيران.. طرقت طفلتي على باب الغرفة فطلبت منها أن تفتح المرناة المبرمجة سلفاً على قناة طيور الجنة وتنتظر إلى أن أخرج فغلبني النعاس وصحوت على صرختها المدوية (ماما الككا لبزتني أغسليلي) خرجت لأجدها تبولت وتغوطت على فراش أخيها غير المحصن بالنايلون مثل فراشها..حممتها وحرمتها من مشاهدة قناة طيور الجنة لمدة ساعتين ومن إحضار الخبز من الدكان كما تفعل يومياً.. بالوعة دش الاستحمام فاضت.. قام بتسليكها زوجي بالقوما قبل أن أسمح له بالخروج من أجل شقاء لقمة العيش، أخرج منها سلسلة لهاية دمية مهجة وأشياء أخرى كانت تعوق تصريف المياه..

أرغب في الذهاب إلى البحر القريب ورؤية النوارس تلتقط الأسماك وتحلق بها لتزدردها فوق أعالي الأشجار.. والطائرات تحلق في السماء بسلام.. والشمس غادرتنا لتشرق على آخرين وعدت منهكة من البحر فنمت من دون استحمام لأصحوعلى أزيز طائرات بشع يقصف شوارع مدينتي ومبانيها، خرجنا من البيت إلى شاطئ البحر وتحصنا بالأمواج، كان أبي قد وعدني أن يتغدى عندنا اليوم لكن أبي عسكري فلن يأتي إلا بعد دحر الغزاة.

طق اطبيل

جرة الماء أمامي فوق سجادة تتوسطها صورة جمل يعلوسنامه « الكرمود» الهودج.. وبعض قطع المقروض أعطتها لي عمتي غزالة والدة زوجي.. اجتمعت كلها لتغريني بصنع فنجان قهوة عربية بالكسبر وحب الهال ناقصة سكر.. وضعت غلاي القهوة علي جميرات صغيرة ملتهبة وسط الكانون كنت قد بخرت بها ثياب عمتي غزالة.. ألبي طلب عزوزتي طواعية بكل سرور تكفيني ابتسامة الرضا ودعائها لي برحمة الوالدين فور رؤيتها لي وأنا أتبع نصائحها كما تحب وترغب!:

- هاك أوراق وقلم:أرني موهبتك السردية..

زوجي يحمسني لأجل العودة إلي الكتابة التي هجرتها منذ عامين ويزيد منددأ ببنانه.. رافعاً حاجبيه مع تقطيبة جبينه.. إن لم تكتبي نصين قصصيين سأدعك عند الحاجة فاطمة ولن أصطحبك للمهرجان الذي سيقام بمدينة الرجبان الشهر القادم..

أناي لا تخشي الكتابة بقدر ما أخشي مما سأكتبه.. لا أطيق الركض وراء الحرف أحبه أن يلح علي.. يتلبسني.. يوقظني من نومي.. يصدر هديراً كموج البحر وصرير كرياح عاتية.. ودويا كالرعد يدمدم بروحي.. يخطفني من بين ذراعي حبيبي.. يجعلني أعلن حالة طوارئ في كل شيء.. اعتزل التنظيف و....... و....... و....... و....... و....... و.... .... و....... و....... و....... ويحترق طبخي ولا أشمه!!

تناولت قلمي.. اندلق حبري يلطخ الورق.. سأكتب بعفوية.. سأستعيد طفولتي ولتتلبسني براءتي في السبعينات.. معيني عميق لكن الأحداث تكتظ في رأسي.. رأسي ثقلت وحرارتي ارتفعت.. أكاد انفجر.

- آمال أين تضعين الحفاظات؟
- ....
- آمال..هل أدهن لها كريم..
- حبيبي أجل.
- لا استطيع فعل مثل هذه الأمور من فضلك تعالي قليلاً وسأدعك تكملين!!

أحداث تتقافز ساعية للهرب من زنزانة رأسي.. تتزاحم علي الخروج لتري نور الانعتاق.. زوجي يأخذ مني الصغيرة لتنام بين ذراعيه سريعاً ويضعها أمامي لأقبلها يحاول التخفيف عني بوسيلة يعرف مدي جدواها.. يكفكف دموعي.. يسحب من الرف الخشبي العتيق الذي ساعدني خيالي إلي قلبه إلي مكتبة بسيطة تستوعب ستين كتاباً متفاوتة الأحجام كل ما فعلته هوقلب الدرج الكبير ولففته بقطعة قماش خفيفة زاهية الألوان مزهرة بباقة من الزهور يغلب عليها اللون الوردي، من الأعلى وضعت المصاحف وكتب أوراد الصباح والمساء وثبت لي أخي النجار زجاجة بيضاء لامعة غطت واجهة الكتب بقفل صغير أسفل الرف يمخر عصب الزجاجة.. وضعتها بالقرب من حاسوبنا ونسقت الكتب التي يحتاجها زوجي في مشروع روايته الجديد منها «ترحال في الصحراء» «تجريدة حبيب» «بنغازي عبر التاريخ» «معارك الجهاد» وكتب شتى لا أحصي ذكرها الآن.. ما

سحبه هوكتاب «الحوليات الليبية للدكتور شارل فيروترجمة الوافي على قصة تحكي عن الولي سيدي الصيد».

طبع قبلة حارة علي جبيني وخرج يفعّمه الأمل.. عله يعود فسيبشر بولادة نص جديد.. طُرق علي الباب إنها أختي حنان وأولادها ود.. ومنصور.. كلما زارتني شقيقتي تفرح "عزوزتي" كثيراً.. تستقبلها بحفاوة وتستبقيها في الطابق الأرضي وقتاً لا بأس به تحفن لها التمر وتسبك لها الزميتة بزيت الزيتون وتفتح صندوقها "بورنة" الذكري الوحيدة الباقية من زفافها وتخرج من عطريتها القرنفل والسواك واللوبان.. الشبة.. والبخور الفائح الذي تصنعه بيديها بعد أن تكسر أعواد القماري بسكين حاد في وضع أفقي إلي أن تقسمه إلي شرخ صغيرة ومن ثم تدقها في "البنبة" الهاون العميق والثقيل إلي أن تصبح شظايا وتضيف إليها الشرغدان والمستكة العربية وأعواد الصندل وقطع معطرة علي هيئة أظافر مخلوعة تدعي "الظفر" هي والصندل آتية من السودان وتروي كل هذه الأشياء بروح الزهر ورائحة "البارزيتي" وعطور أخري سودانية خاصة بري البخور وتنشره في الظل وبعد ثلاثة أيام تغلي قليلاً من السكر المذاب في الماء إلي أن يصبح قوامه أخف من العسل بقليل وتخلط به البخور فيصبح معسلاً لونه محمر لامع ذا رائحة زكية تعبق رائحته أرجاء المنزل. وتغني لها كثيراً وفي العشية أقدم لها العدالة والكانون لتصنع لنا شاهي بالنعناع مع حبيبات كلكاوية.. ليس دائماً بالنعناع ففي الصيف تتكهه بالنعناع أوالمينتة أوالبردقوش أوورق العطر أوبالورد المجلوب من درنة وشتاء بالمريمية وعلي جمر الكانون الهادئ تحمس حبيبات القلية التي تفرقع مصدرة صوتاً يحرك أشجانها فتتغني بما تحفظ وتقلب حبيبات القلية الناضجة السمراء بالتابير وهوالعرجون الذكر الذي توبر به النخلة مرددة:

● «أوقات في الصبر علة.... أوقات فيه الفوايد..

وأوقات حملي أنقله.... لظل كيله بزايد"

وعندما أشرب طويسة الشاي «الدور الأول» أقبلها وأنحني لأخذ الطاسات لغسلها فترفض بشده..لا؟ لا.. «والله واحد يحلب أوواحد يشد القرون.. تونمصمصهن في محبس العالة تريحي أنت من الصبح علي عرش القدم وأن تأخر زوجي فتبتسم مغنية:

● ياسايقين القعيد.. يا باغيين المدينة..

فيكم سمية أحميده.. سيف الذهب من يمينه"

وتذكر لمة بناتها الستة اللائي تزوجن وكل في مدينة فتتنهد بحرقة منشدة

● «عطاك عمي يارووید... عمي قلب والأّ ميامي..

بعدت عني الوديدات..... وسهرتني في منامي"

وفي الدور الثالث إذا ما ذكرت بعض من طقوس والدتي رحمها الله «كلنا ليها» تدمع عينها.

● «يا مينتي سامحينا.. وأدعيلنا بالربايح..

لطال عمرك تجينه.. تجيبيلنا كل فايح..

وبعد غز حبات القلية أواللي يقسمه ربي.. تنثر في بقايا النار التي قاربت علي الخمود نويويرات زعتر مرددة باهي للبرد ويغير النفس» وفعلاً ثبت علمياً أن هذه العملية تساهم في القضاء علي تلوث الهواء وخاصة الفيروسات التي تسهم في انتشار الإنفلونزا «في فصل الشتاء»، تحب الأطفال وتدللهم كثيراً ودائماً تقبلهم منحنية وتمسح علي رؤوسهم.

● الصغار أحباب رسول الله.

تجلس أبناء أختي علي ركبتيها وتسرد لهم الخراريف كخرافة حب الرمان ومحمد ولد السرية.. الحيضان والحطيطيب وطنينة وطنين وطرلة وطرل وتختمها بغناية:

"طق أطبيل" تغنيها بصوت جميل يبعث السلوى في أرواحنا أجمعين:

● «طق أطبيل وطق اطبيل

لاجنك فرسان الخيل

لاجنك طاعة..طاعة..

ولا بن عم البرطاعة..

جلبوا عدتها من السوق

جاها القنمبر والعتوق

قنيبره يأم طريبيش

غزيتي حبقي نبقي

ناض أوخيي ساوطني..

ساوطني في قعر البير

وعليي سكوفية..

سكوفية بنت السلطان

وأحلي وأحلي من الرمان

وأحلي من تمر اعجيبة

يسافر خويا وايجيبه

ويجيبه تحت ركابه

وركابه فجرة وذهب

نا وياك بنات السيد

حطونا في رويس حديد

لامفتاح ولا رقيب

ياراقي فوق العلوة

جفلت المال علينا

كان ربيع حدا الإسلام

ما رتعاته شوهيه

كان فرس سيدي مسعود

مولي ركاب المجلية

كان حاحت حاحت بالطير

وكان قنصت بسلوقية

تروح علي البيت المعلوم

فيه مرقم.. فيه حمول

فيه وسايد نيليات

فيه ولد مايرقد نوم

يأخذ ويعقد في البل

ينادي يقول ياحضرية

حضرية بنت الهلهل

يابنت الدرازية

جاني خبرك من فزان

ثلت قرون خرنجيه

نبرمهن يا برحيان

ياغرسة في لود جنان

مانعطيها للرعيان

هوه تعدي.. هوه تجي

تبني بيت علي جدي

أمي تبي ثوب حرير

واختي تبي تكليلة

والخادم تبي دردوف

أزرق من خيط النيرة

واللي ما تعرف ترقم

هاتوهلي بين ايدي

نسحنها سحن الفلفل

في مهراس الكروية!!

ويعاود زوجي تهديدي مرة أخري.. إن لم تكتبي نصين قصصيين لن أصطحبك للمهرجان الذي سيقام بمدينة طبرق الشهر القادم.. زوجي يعرف مدي حبي لطبرق قضيت بعضاً من طفولتي في ربوعها.. هناك أناس طيبون أعرفهم بمدينة طبرق مسقط رأس أخي أحمد وكنت سأتعرف علي الأكثر لو لم يهرب زوجي من الأمسية التي جهزت لها الاستعدادات وتم توزيع الدعوات علي شرفنا.. لن أنكر أنّ كلانا لا يحب الأضواء ونهرب من اللقاءات.. ولكن هذه المرة الأمر محرج سأحلف له بالطلاق أوربما أدع مهجة رهينة عندهم وهكذا أضمن عدم إفلاته.. طبرق التي أحبتني وأحببتها.. شارع عمر المختار.. جيراننا الطيبون.. عائلة الراوي.. أذكر الحاجة فجرة الطيبة بوشمها الأصيل وضفائرها السوداء الناعمة المنسدلة علي ظهرها من تحت غطاءها الشولاكي.. في كل عشية بعد إتمام واجباتنا المدرسية ومساعدة والداتنا في قضاء بعض الأشغال المنزلية البسيطة.. نلعب النقيزا الصيني أنا ومريم وزينب ورابحة بنات الخالة فجرة التي تصنع لنا "المثرودة بخبزة التنور" والعصيدة برب العكة.. وكيف فجعنا بزواج عمى عبد الله من مصرية.. ويتسابقن الجارات في مواساة ودود للحاجة فجرة.

- يأخذ سوك.. والله ما بتجي لا في زينك ولا رزانتك «ماتجي حتى في ظفرك».
- سوه له يا يام والله لو يدوّر بالفلاية ما يلقى مثيلك.
- "لا تخافك يافجيره" يدور يدور ومرجوعه لبنيت عمه..
- طهقة رجالة وتعدي أنت الزين والثبات وأم العيال.
- ياصبايا بلكي لعبن بعقله، المصريات شاطرات.
- ترلها خادمته وعميته عليك وعالعيال.

- اسع انجيبولك أميّة رقية أهوالجامع حدانا واسقيه منها ورشى ـ في الحوش والسبحي زاد بيها.
- ونا عاد ننظره من جديد يا خواتي.
- فتجيب أصغرهن نجمة والله ما يصبر عمى عبد لله علي مثرودتك السمحة ولا خبيزة تتورك المقمرة..

«نجمة الطرابلسية» لم تكتب لها الخلفة فكانت تأخذني لمؤانستها في الليالي التي يقضيها زوجها في المعسكر ضابط خفر والأخرى مهيبة زوجة الضابط السرتاوي هاوي الصيد أذكر كيف كنا أطفال الحي نجتمع في فناء بيتها كلما أحضر قرنيطة الأخطبوط هي أيضاً لا أولاد لديها تطبخها وتعطيني أنا وابنة الحاجة فجرة مريم ذات الضفائر الناعمة المرتخية كلما طلبت منها أن توثق شريط ضفيرتها تعيرني بشعري الأكرد الذي لا ينفك وثاقه وفي ليلة من ليالي القدر تركت اللعب في الشارع ودخلت هارعة للدعاء وعندما خرجت دفعت بي إلى باب بيتنا..

- خشي أدعي واجد بلكي ربي ينعملك شعرك الليفة!

نمت تلك الليلة وأنا أحلم بأن شعري قد تنعم وأسترسل ألي أن وصل إلى الشارع فبدأنا يجتمعن حولي صويحباتي وكل منهن لديها مشط تفرق وتصنع جديلتها ويتنافسن علي صنع الجدائل «جديلة أسبولة» وتسميات أخري لا تحضرني الآن.. مريم تحب أن تأكل بيديها وهي تقلد جدتها لوالدها في ذلك التي حكت لها أن الملاعق يصنعونها من بقايا حديد خرائب السيارات وهي تخشى أن تكون قد تلوثت بدماء موتي الحوادث الذين قد تحضر أرواحهم في أي لحظة وكلما رأت ملعقة تتخلص منها وفعلت مثلها فالأكل باليد سهل وممتع ويجعلك تشبع بسرعة وبإمكانك أن تلعق أصابعك دون استحياء أوخجل..

خالتي مهيبة تتقن الحياكة وتتفنن فيها أذكر أنها أهدتني زياً مدرسياً باللون الأزرق الغامق الذي يروق لي وفضلته علي الزي الذي جلبه لي والدي من السوق باللون "الزرقيني" الفاتح الذي أكره ارتداءه إلي الآن!!

وجارتنا الدرناوية "سدينة" كنت أبيت معها في حالات الطوارئ التي يضطر عمي ساسي زوجها لترك البيت أذكر كيف علمتني طهي الحساء الدرناوي المتميز بخلطة الحبق والثوم والنعناع والكسبر والبليلة التي أحبها كثيراً ويصنعونها في عاشوراء وليالي رمضان ولربما لقربهما من مصر.. كنت أرقبها وهي تنسف حبيبات القمح بعد تنقيته جيداً.. تنقعه في الماء يوماً كاملاً مع مراعاة تغير الماء بعد كل ست ساعات تقريباً.. وإن كانت علي عجل فحتى بضع ساعات تمكنها من إعدادها.. وبعدها تسلق القمح المنقوع بمائه علي نار هادئة إلي أن ينضج وتزيل بمصفاة القشور الطافحة أعلاه ومن ثم تضيف إليه النشا المحلولة بالماء والسكر وماء الزهر وتدعها إلى أن تنضج وتقلبها في أوان صغيرة وعميقة وتزينها بالزبيب والمكسرات وجوز الهند وتقدمها لنا باردة فنطلب منها المزيد.. وجارتنا آمنة الفزانية التي توزع على الجارات سلال السعف التي اشتغلتها بخوص النخيل الذي تصبغه بالبنجر والزعفران وتملأها بالتمر المعجون بالزعتر والإكليل وتوزعها علي الجيران مع أقراص بخورها المسبوكة بالعطر الفّزاني المميز.. والعريبية أم الخير التي جاءت من المقرون نظرا لظروف عمل زوجها كانت ماهرة في مخض اللبن بالشكوى وكانت تغير نكهته بعد أن تخرج منه الزبدة تحمس حبيبات الحلبة وتهرمشها وتضعها فيه مع قليل من الملح أوالعرعار ولكثرة اللبن عندها وجودته من البقرة التي اشترتها بثمن عقدها ووضعتها في المنور الخلفي الذي كان علي هيئة مزرعة صغيرة فهي قد اعتادت علي تربية الأبقار بالمقرون ولا تستطع اعتزالها فجأة رغم انزعاج زوجها.

● فكينا من ها البقرة اللي تنعر علي روسنا ياولية رانا في مدينة

مش ـ في بر المقرون.

- سمح غير لبنها والرز المرجع اللي يومين والثاني تبيه.
- لنقانك صدقتي لبن من يديك خير من تمرطيز ها القلالين اللي نصهن ميه.

وما نحكيلكمش عن المسلاتية جارتنا التي كلما أرسلتني إليها أمي بكيس من المكسرات أحضره أبي من الحانوت العسكري تستبقيني لتغني لي وهي تمد لي قطعة عسالية من صنع يديها:

يا من شبحك يا من راك

واضنيك زربيق وراك

يا من شبحه كاثر ربحه

جابوله ودين وذبحه

وين جوا لقوا شواه

يامن شبحك منفزة

في جربي.. مانك في جبة

وان درتي للعفن محبة

تتنسي ويهون غلاك

. مهجة تصرخ.. زوجي يدعوني لمواصلة الكتابة.. أنا أصرخ.. فالتيار الكهربائي انقطع فجأة، ولم أحفظ ما نقرت من حروف. أكتب عن طبرق، والتيار الكهربائي انقطع فجأة، سأكتب عن مدينة أخرى كهربائها لا تهرب أبداً، أمسكت بالقلم وملزمة أوراق، وأحضرت لي ابنتي مهجة شمعة بينما قدم لي خيالي قبساً من الكبريت.

سوق الجريد ببنغازي من الأسواق الشعبية التي تبيع الأزياء التقليدية من أردية حريرية ولوازمها من سراويل عربية وقماجات ومحارم وأحذية وحقائب والمصنوعات التقليدية كالعدد التي تصنع مثلها جدتي بمهارة وتسوّقها لمحلات تتعامل معها بسوق الجريد العدد بكسر العين على وزن «عنب» جمع عدّة والعدة باللهجة البنغازية خيوط سمراء تساعد ـ في استطالة الشعر.. فتعطي للشعر الخفيف جمالية رائعة.. فتجعله يبدو غزيراً وتجعل من الشعر المجعد سوالف مسترسلة بعد مشطه بخليط المروّن المكون من ماء الزهر والزعفران والقرنفل المسحوق، فمع النعومة يجعل للضفائر رائحة زكيّة منعشة..

وتطلق التسمية ذاتها على عدّة الخيل (السرج) وهي الزينة التي تزين بها الفرس في المهرجانات لتبدو مبهجة كالتي شاهدتها ربيع 2007 في الساحة الخضراء المطلة على متحف السراي الحمراء وتمثال سبتموس سيفيروس سابقاً.. وتقام بهذه الساحة احتفالات عدة كعيد الطفل وعيد المولد النبوي الشريف، فترى الأطفال يلبسون الزي التقليدي ويظهرون في أبهى حُلة والأجمل أن الساحة تبدو كمعرض للأزياء العربية كالزي المصري.. التونسي.. المغربي.. الجزائري.. كذلك الأزياء الأممية كالهندي.. الباكستاني.. وشاهدنا عروضاً فنية مميزة للمدرسة الروسية والبلغارية وغيرها من مدارس الجاليات الأجنبية.

في صيف 2007حضرت معرضاً لرسوم الأطفال بصالة بن ناجي الكائنة في زنقة الفرنسيس بالمدينة القديمة.. أقامه طلبة المدرسة الروسية في ليبيا ووجدت كيف أن هؤلاء الطلبة الروس الدارسين هنا في ليبيا قد استلهموا التراث الليبي والأماكن الليبية وبثوها في

لوحاتهم الجميلة.. ففي لوحاتهم تجد الحلي الليبية والشوارع الليبية والصحراء الليبية ممتزجة بثلوج وقبب وصحاري سيبيريا.. هؤلاء الطلبة مزجوا بين الثلج والشمس وأبدعوا لنا خليطاً يعبر عنهم.. يعبر عن بردهم القديم ودفئهم الجديد.. كان معرضاً رائعاً غلبت على لوحاته مباهج العفوية والمرح والحياة والصدق، جعلني أشغل خيالي فأرسم جملين متعانقين، جمل ليبي بسنام واحد وجمل روسي بسنامين، وجعلت السماء نصفها ممطر ونصفها مشرق.

الأعياد الدينية الليبية امتزجت في الرسومات بمظاهر رأس السنة الميلادية.. وبابا نويل الروسي رسم وهو في يده بندير يطرق عليه ويجدب بقوة حتى تناثرت بعض الشعيرات من لحيته البيضاء وطربوشه الأحمر طار في السماء.

الأولاد يلبسون زيهم الليبي الكاط ملف حتى الرضع وحديثي الولادة تخالهم باللباس الليبي التقليدي كدمى استعراضية.. ولقد كان الطقس بارداً فنجد منهم من تدثر بالجرد الجربي.. وكل أم أوجدة تغني لصغيرها أوحفيدها، وأذكر جدّة مهجة وهي تهدهدها بهذه الرطانات:

يا من شبحك يا من راك

واضنيك زربيق وراك

يا من شبحه كاثر ربحه

جابوله ودين وذبحه

وين جوا لقوا شواه

يامن شبحك منفزة

في جربي.. مانك في جبة

وان درتي للعفن محبة

تنتسي ويهون غلاك

يا من شبحك.. يامن ريتي

والجلاس يجوا لبيتي

وين شبحتي فزيتي

خفتي من عيبى يطاك

يا من شبحك يا بنتي

زوز أولاد اللى جبتي

محمد وعلى سميتي

فوق حصيرك طهرتي

مهجة تنام.. وهم يضعون القبعات فوق رؤوسهم المسماة الشنة بالشنوارة وهي خيوط سوداء رقيقة منسابة من منتصف الغطاء تتناثر قليلاً مع الحركة كثيراً مايلبسها مغني الموشحات ونوبة المالوف الطرابلسية ويسمى هذا الغطاء البسكل ومنهم من يضع على رأسه طاقية خفيفة تسمى المعرقة لأنها تلاصق الرأس وتمتص العرق مصنوعة من قماش الكتان وكانت جداتنا يمدحن هذا الصنف من القماش بالاتي:

كتان البفتة

جايبة ركب السلطان

مولاه يعورج

متفضي باله طربان

والمعرقة يكون لونها أبيض تزينها نقوش جميلة.. وهذا اللباس الليبي التقليدي يحتاج إلى انتعال البلغ جمع بلغة والبلغة باللهجة الليبية هي المداس الجلدي المغلوق من جهة الأصابع ولا يظهر سوى عقب القدم وهي خفيفة ومريحة للصغار والكبار.. عدوها الماء فإذا ما تسرب إليها فإنها تتعفن وتطلق من ثناياها رائحة كريهة، ربما دفاعاً عن نفسها، فالماء لم يعد ماء الآن.

وتوجد البلغة بثلاث ألـوان.. الأبيض.. الأزرق.. الأسـود.. وكل يختار اللون الملائم مع لون صدريته وشنته والأبيض هو اللون الرائج وخاصة عند الأطفال.

وعـادة ما تتبنى أمانة الثقافة أوبعض الجمعيات الخيرية هذه الاحتفالات.. فيخرجون أطفال الملاجئ ومراكز المعاقين ويحصل دمج بين كافة الشرائح.. فتشعر بالبهجة الحقيقية وإن كنت ستتألم لمرض عوز المناعة الذي تفشى بين أشبالنا وزهراتنا بسبب الجريمة البشعة التي حدثت في مستشفى الأطفال ببنغازي عام 1998م من الطبيب الفلسطيني المقيم ببنغازي وثلة الممرضات البلغاريات في حق هؤلاء الأطفال الذين لا ذنب لهم سوى أنهم كانوا يتلقون العلاج في براءة وأمـان، فعندما ترى الأطفال المحتفلين في الساحة الخضراء وهم يرتدون أجمل ملابسهم سيجلب لك المشهد الرائع هذا مأساة الأطفال المغدورين المحقونين بفيروس نقص المناعة الايدز.. والذين تم حقنهم بواسطة بضعة مجرمين أدانتهم المحكمة وحكمت بإعدامهم وتعويض الأطفال وأسرهم بمبالغ مالية كبيرة.. حكمت عليهم بالإعدام لأن

هذه الجريمة هي اغتيال للإنسانية جميعها.. فمن أحيا نفساً فكأنه قد أحيا الناس جميعها ومن قتلها فكأنه قد قتل الناس جميعها.. أتذكرهم في هذا اليوم السعيد وأنا أنظر إلى الأطفال المبتهجين.. أتذكر ما يعانون من آلام عضوية ونفسية سببتها لهم الأيدي المجرمة والعقول المريضة.

في كل يوم يقتربون من الموت خطوة.. أتذكر معاناة أمهاتهم وآبائهم وإخوتهم.. أتذكر وأشعر بغصّة في القلب ودموع غزيرة تنهمر داخل روحي وأطلب من الله أن يشفيهم في أسرع وقت وأقرب فرصة.. عندما أشاهد مرح الأطفال واحتفالهم بالعيد أشعر بمدى كبر وحقارة هذه الجريمة التي ارتكبت في حق ملائكة رضع لا حول لهم ولا قوة.

إنها مأساة وجريمة العصر وفعل شيطاني حقيقي يدل على أن في قلوب البشر مساحات مزروعة بالحقد والكراهية والشر.

الساحة مكتظة بالمعروضات التراثية ومزدانة بالأقواس البلاستيكية والأوراق الملونة المشحونة بالأضواء الكهربائية وفي جانب الساحة كان سرادق كبير ملئ بالمعروضات المعبرة عن خصوصية الشعب الليبي من حصر واكليمات وعبي ومصنوعات جلدية مختلفة.. وعند فم السرادق طبق كبير مملوء بتمر فزان اللذيذ وبجانبه جرار زاخرة بالماء واللبن تروي العطاشى وتغذى الجوعى.

في السرادق مجسمات صغيرة لمشاريع زراعية طموحة تظهر في وسطها نخلات جميلات وحمائم ترفرف وتحط فوقها مغنية بالسلام ومنادية بالشموخ والأصالة.

الآن تمر سيارة نقل تحمل بيتا رمزياً طوبه من الشكولاتة وسقفه

من قطع الحلوى ومصابيحه من البالونات الملونة.. الأطفال يفرقعون البالونات الطائرة من وسط هذا البيت والحاطة على رؤوسهم الصغيرة.. الناس تطلق الحمام والأطفال ينثرون لها الحبوب فتنزل لتلتقطها في أمان وتعود لتطير مجدداً مشكلة أسراباً ساحرة.. ومن خلفي تمر عربة يدفعها نادل بلباس المهرجين توزع أكواب الماء بالزهر وقطع المقروض والعبمبر.. والمقروض وهونوع من الحلويات الليبية يصنع من السميد ويحشى بالتمر ثم يقلى في زيت أويطهى في الفرن على نار متوسطة الحرارة وبعد نضوجه يغمس في العسل الذي سبق تحضيره بالماء والسكر والليمون ويضاف إليه برطمان عسل طبيعي وماء الورد المقطر من أجل إكسابه مذاقاً جيداً ورائحة زكية.. أما العبمبر فهو خلطة بياض البيض مع السكر الناعم وجوز الهند يعد على هيئة كور صغيرة خشنة القشرة طعمها لذيذ يقدمونها للأطفال في الاحتفال مع كؤوس الروزاطة وهو عصير طرابلسي متكون من الحليب وعصير اللوز وماء الزهر ويقدم بارداً..

هذه الحلويات وهذا المشروب من الأساسيات المقدمة في الأفراح الطرابلسية وحتى بعد دخول الحلويات الشرقية والغربية الحديثة فهذه الأنواع مازالت صامدة ومستحبة ولذيذة لأن صنعها لا يتم بالدقيق والسكر والماء لكنها بالحب ولمّة العائلة والجيران..

الأطفال ينتظرون مفاجأة الموسم بشغف.. فعند إطلاق آخر بالونة وآخر زوج حمام.. يركض الأطفال جرياً وسرعان ما يلتهمون القالب الذي فوق السيارة فتبقى قاعدته المعدنية فقط تلمع..

يجرى لهم المشرفون مسابقة لالتقاط صندوق ورقي مذهب يرمونه لهم في الهواء وسعيد الحظ من يلتقطه ويفتحه ليجد به ورقة

بها طلب أن يقوم برقصة أويؤدي أغنية أومشهد تمثيلي أوأي عمل مبتكر يساند القضايا العربية أوالعالمية العادلة وبعد أداء العمل يمنح جائزة قيمة قد تكون تذكرة سفر إلى بلد عربي مع الإقامة لأسبوع لكل أفراد الأسرة مع مصروف الجيب.

وتطلق في المساء الألعاب النارية ذات الألوان القزحية لتعانق الغيوم في السماء فتعم البهجة ويتلاشى الهم والحزن ويمنح الأطفال الألوان المائية الموضوعة في أكواب بلاستيك وفرش رسم وورق مقوى أبيض وأصفر وأحمر وغيره من الألوان يطرحونه على بلاط الساحة ويرسمون ويعبثون ويعبرون بلطخهم البريئة عن مكنونات النفوس، فترى من يرسم مزرعة ومن يرسم بيتاً والآخر يرسم لوحة عن التلوث البيئي بأكياس البلاستيك.. ورأيت أحدهم يعبث بيده على البلاط ويرسم بواسطة إصبعه، يغمسه في كوب البلاستيك ويخربش ويلطخ به.. عندما نظرت إليه شعرت كم لديه من طاقة إبداعية هائلة تجاوزت الورق والفرشاة وصهرته مع بلاط الساحة.. شعرت أن لديه طاقة إبداعية يود تفجيرها لا يحتويها الزمان ولا المكان.. أراه طاهراً نقياً كطهر مريم العذراء ونقائها من السفاح.. إنهم يرسمون أحلاماً بريئة كبراءة الحلم الذي تبدده الواقعية.. وقبيل الغروب وبعد أن يستنفد الأطفال طاقاتهم ويفرغون من الرسم يجمع المشرفون والمشرفات اللوحات جميعها دون استثناء ويعلقونها على جداريات وبرية مثبتة على حوامل سيقانها من حديد.. الكل مبتهج ويصفق مشجعين الأطفال على صنيعهم وبعد حين يذيعون أن النتائج ستكون في الغد وستوزع الجوائز القيمة على الفائزين وستمنح الهدايا للمشاركين وستجرى مسابقات والعاب لمن يحبون المشاركة والاحتفالية يكون فيها ضرب على الدفوف وعزف على المقرونة

والزكرة.. والزكرة هي آلة موسيقية شعبية يخرج من جوفها قصبتان تنتهيان بقرنين واسعين ينفخ الزكار في القصبتين محركاً أصابعه على ثقوبهما وعندما يتعب من النفخ يريح فمه ويضغط بمرفقه على القربة مستعيناً على العزف بما تحتويه من هواء مخزن.. في شكلها تشبه القربة إلى حد بعيد.. وهي تصنع من جلد الماعز ويلبسونها كساء من الحرير أو الصوف الملون تتدلى منه شناوير ملونة وعقد المحلب المطعم بالعمبر والقرنفل ويسمي سخاب تتوسطهما حويته وخميسة وقرين وتصدر صوتاً جميلاً شجياً رقيقاً.. بم بلم.. بلم.. بلم.. عندما يملأها الزامر بالهواء الخارج من نفخات شدقيه وهذه الآلة الموسيقية هي من تختبر جداتنا ذكاءنا بالسؤال عنها عبر هذه الأحجية أواللغز: (متحزمة تحزيمة تركي وطابة الطريق وتبكي)

فتنساب منها أنغاماً شعبية عذبة بلم بلم بلمبلم وللعازف عليها زي فضفاض مزركش يميزه وهوسورية بيضاء مجلولة من الأسفل بحزام بعدة ألوان يرتدي فوقها فرملة سوداء وفي قدميه بلغة جلدية صفراء فاقعة فكلما انهمك بصفاء في العزف وارتفع الصخب والتصفيق استدار للجمهور فجأة وبسرعة فينفش الجلباب كما لوكان طاووس ويجعلك تستحضر في مخيلتك رقصة المولوية لجماعة جلال الدين الرومي حيث الدوران جهة القلب إلى حد الوصول إلى الرؤية الداخلية التي ينشدها المتصوفة وأصحاب الطرق والسر.. فتعطى التفاتته السريعة ودورانه السريع مشهداً جميلاً ترتفع فيه أسفل السورية ويرى سرواله والتكة الملونة تتأرجح منه فيبتهج كل الحضور ويتحمسون بالتصفيق وبوضع المزيد من النقود بين قصبات المقرونة أويلصقونها على جبهة الزكار أوكتفه.

عازف الزكرة يدور عازفاً وسط هرج ومرج الجمهور ورقصات الأطفال غير المخطط لها أو التلقائية وتصفيق البهلوانات التنكرية بأشكال حيوانات ورسوم كرتونية يعشقونها.. هم يقبلون الأطفال الجالسين على كراسي الإعاقة ويعانقون المتكئين على العكازات.. يدفعون عربات المعاقين برفق صوب دائرة الاحتفال فيبتسمون لهم ناثرين عليهم حبيبات الحلوى والشكولا.. يرفعون الأقنعة التنكرية من على وجوههم كلما مروا من أمام أطفال واجفين. وسمعت أحد المعوقين الساكن على كرسي متحرك يردد هذا المأثور فأنقبض قلبي لآهاته المحرقة وعيونه التي تتابع الراكضين نحو موكب الزكار بأسي

- «حتي الفرس تصهل..

قالت: بلاش منها المعيشة حتى الراعي ركبني بلا سرج والمداس خيشة.

"انى مئيسة من جيب الأوداد... من البارذى والسخونى...

اللي جيهم من غير ميعاد... معاك يالحنة الحنونى

ياريتني طويرة انطير معاهم... والا قمر نزرق على رداهم"

راسلتني صديقة من قطر عربي.. رسالتها كتبت بخط مرتعش وسريع.. سطورها متعرجة وكلماتها بدت مختلطة.. أما حروف الكلمة الواحدة تبدو للوهلة الأولى كقطبي مغنطيس اختلفت أطرافه.. فتحت مظروفها في لهفة وعجل متلهفة لما في داخله وتصفحت ضمة الأوراق المتموضعة داخله.. أوراق عتيقة مدعوكة تميل إلى الصفرة.. ظهر الأوراق متشقق.. متجعد.. ومقضوم الأطراف كأظافرها التي كانت تقضمها بشراسة بالصف وبقاعة الامتحانات.. غالباً يخرجونها من

طابور الصباح وأحياناً تتعرض للعقاب والحرمان من الحصة الأولى والرحلات رغم تفوقها وذلك لوضعها طلاء أسود على أظافرها فهي شديدة الإفراط في ملء ريشتها المغموسة بقنينة الطلاء.. فيسيل اللون وتصطبغ اللحمة المستظلة بالظفر هكذا نصحها الطبيب النفساني لتخلص من عادة قضم الأظافر وذلك بلبس البلوزات طويلة الأكمام وأحياناً تغطى أظافرها بشريط لاصق فتصبح أظافرها على هيئة طرابيش أوأقماع صغيرة.. كتبت عن ظروفها الصعبة وعن وضعها الحرج ولسان حالها يقول:

زوجي الذي أحببته من أيام الدراسة وتعلقت به كما تعلمين صدمني بعد أن أنجبت أربعة توأم من بطن واحدة.. ثلاث أولاد وبنت واحدة.. حرمني أن أطلق أسماء أبوي على اثنين من أولادي.. وجدته يعانى من عقد نفسية دفينة لم يصرح بها ولكنها بدت تفصح عن نفسها موقفاً تلو الآخر.. ترتيبه الثالث بعد أخت بكر والثاني ولد مدلل ويعتد برأيه أما زوجي رافع فشخصيته مطموسة ومهمشة من قبل أسرته المفككة.. ومن وجهة نظري هذا ما جعله مستبداً طاغياً معي وأولادي وحرمني من زيارة السودان ومصر وسوريا والمغرب والأردن التي قضيت بها فترة طفولتي على الرغم من يسره المادي فهذه الدول أحبها كثيراً ودائماً يعيرني بالمتشردة مختلطة الأنساب.. فأحتد ولا أسكت له فأنا أعتز بكوني سودانية ووالدتي مصرية وجدتي لأبى سورية وجدتي لأمي مغربية وأولادي ليبيين.. أحب تنويع مائدتي بالمقبلات المصرية والسورية والأكلات السودانية والأطباق المغربية بالإضافة إلى الأكلات الليبية التي أتقن صنعها وأتلذذ بأكلها وخاصة الشربة والعصبان والبازين والرشدة والكسكسي والبراك والمبطن.. ينهرني كلما أضفت للمائدة أطباقاً عربية.. قل ما أسمع منه نمارق..

أذا كنا ﬗ المستشفى أوﬗ جهة رسمية.. لا يناديني سوى بالسودانية المتشردة.. أوالعريجة الشقراء.. يؤلمني ذلك كثيراً لكنى أعتدت على هذا.. حفيت أقدامه حتى وافقت أمي على زواجنا..

الليبيون عشرتهم طيبة وفراقهم صعب حتى اليهودي يعيش بينهم ﬗ سلام.. لكنى لم أرتح لرافعك هذا وأخاف عليك العوز وقلة الهناء يا بنيتي.. كيف سأحتمل فراقك.. أنت كل ما عندي ﬗ هذه الدنيا الفانية.. هكذا كان رد أمي عندما تقدم لخطبتي ودار نقاش حاد بيني وبينه..

وعد رافع والدة نمارق السيدة زينات بأن يصونها ويحميها.. وفى كل يوم يهددني أن أترك بيت أمي الذي اشترته لي وعاشت معي فيه أيامها الأخيرة وبما أنى الوريثة الوحيدة الشرعية آل البيت لي وتخلصت من جحيم أهله وسيطرتهم لأدخل إلى الدرك الأسفل من أجحم جحيم.. حتى أذا ما طلبت منه أن يطفئ النور لينام الأطفال أويخفض صوت المرناة يشتمني ويهددني بالضرب صائحاً ﬗ وجهي الذي ما اعتاد القسوة يوماً.. صدقت والله والدتي عندما نعته "الزول داه كعب وره يتعبك كثير يا بنتي" زول كعب بالسوداني أي رجل سيئ الطباع والعشرة..

العيال راقدين يا رافع

خليهم ينوضوا السودانية شن قاعدة ادير

السودانية حفيت عشان توصل فيها

راك تسحابي روحك خلاص عشان شقراء ﬗ نظري خدامة مش أكثر

عيب يارافع نقص التلفزيون العيال حرام عليك

خذيتك كسرة خشم بس

باهى نقص التلفزيون

نقص..طفي.. عارفينه حوش أهلك..لكن كان ما نطلعك منه نقعد مش رافع.

بيت أمي أحبه كثيراً ولم أغير في أثاثه شيء.. الثلاجة كما هي وموقد الغاز وخزانة المطبخ وحتى أغطية البالوعات النحاسية ذات النقوش الزاهية ظلت على حالها ويصاب بالجنون أذا ما شاهدني صدفة ألمعها بحب.. لم أغير غرفة نومي المزدوجة التي كنت أنام فيها مع أمي.. حتى أدوات المطبخ والسجاد والستائر والصالونات والثريات وبعض المناظر الطبيعية التي اختارتها أمي رحمها الله مازالت على حالها.. فقط أجريت بعض التعديلات في توسيع البيت وإضافة حمام وحجرة لاستقبال الضيوف.. وطلاء البيت بدهانات زاهية.. وافق على جلب عمال في المرة الأولى وبعدها صار يطلى البيت بنفسه وعمله غير متقن.. أطفئ لمعة البلاط بالدهانات.. وبعدها صار يماطل ويبدأ بدهان المرآب ولا يكمله وإذا اقترب أحد الأولاد أوتبقعت ملابسه يقيم الدنيا ولا يقعدها.. تذكرت صديقتي بسيمة الليبية المتزوجة من فني طلاء تونسي.. "مقطر في عيونها الثوم" "وساقيها المر من مرافقها" لم تنجب منه سوى ولد واحد شقي كوالده وأصابها الضغط والسكري فهو عاطل عن العمل لا يود تجريب أي حرفة غير "الزواق" حالتها يرثى لها حرمها من زيارة أهلها والجيران والصديقات في القليل النادر يسمح لها بزيارة.. ومارست مهنة مربية من أجل أن تؤمن مصروف البيت والدواء وتلبى

طلبات ابنها والمصاريف المدرسية.. وهذا كله نتيجة التهور والإقدام على اختيارات يعارضها الأهل ذووالخبـرة.. وعادت نمارق لتكمل قصتها مع رافع

آمال:

كيف ما تعرفي بابا تركلي رصيد في البنك وأمي باعت الفدان اللي حيلتنها في مصر.. شرتلي الحوش والباقي أودعته برصيدي.. سحبت منه التوكيل فلم أجد في رصيدي سوى مائة وعشرين دينار لا غير وبحثت عن عمل من أجل الأولاد لأساعده بعد أن رفض مهنة المزين والحناية ولوعلى فترات منقطعة وعندما ناقشته في الموضوع تهكم ورد بانزعاج

وكان نحلولك على الخضر توتقوليلى نقعد تقازة وخلاص

تحصلت على وظيفة في شركة لستة أشهر وبعدها تم تعييني بمدرسة ثانوية بنين فجن جنونه وأصبح يصدر لوائح الأوامر ويحرض على عدم التحدث إلى الطلبة ويحضني على عدم مقابلة أولياء الأمور ومنعني من المشاركة في الأنشطة المدرسية.. ولأرتاح من مشاكساته اضطررت لاستلاف مبلغ على راتبي لصيانة البيت وشراء مكيفات وتصليح سيارته التي لا نركبها إلا في الشهرين مرة.. زادته قعدة البيت عصبية وحقداً وعقداً على عقده فهولم يتم مواصلة دراسته عندما سافرت إلى السودان والآن عاطل عن العمل..الحق ليس بإرادته ولكنه حدث تقليص في العمالة الزائدة.. سحبت من رصيدي واشتريت له سيارة جديدة من الدار.. وطلب منى توكيل فمنحته إياه فأشترى شاليه على بحر بوفاخرة على أمل أن نقضى صيفاً ممتعاً وأولادي.. للأسف صار يسحب من رصيدي ويستمتع مع

شلة السكارى ويعود ليصب جام غضبه وحقده علي وأولادي..

أسرق الوقت كي أبوح لك بما يجول بخاطري..فأنا مشغولة دائما مع الأولاد ومتطلباتهم.. أصبحت كالآلة.. شغل.. شغل.. وقودي يحترق ولا بديل.. لا راحة إلا في المساء.. ارتمى مثل الورقة البالية التي لا حياة فيها.. فيأتيني مخموراً ليطالب بحقوقه التي لا تنتهي حتى مطلع الفجر وعلي المبادرة في كل مرة.. وعندما يغلبني النعاس يشتمني ويضربني بأول شيء يصادفه.. الأسبوع الماضي قذفني بمنفضة كريستال كانت لأبى.. شجت رأسي وتركني أسبح في دمى وغط في سبات عميق.. أفكر بالطلاق.. مللت السجن والسجان وهذا النكد.. أعرف انك لن توافقيني عزيزتي لكنى حاولت معه بشتى الطرق.. جربت معه الحنان والاهتمام والتقدير والإذعان والمصارحة و.......و.......مع الأسف استنفذت كل طرقي.. دون رجاء يذكر!!

"آمولة" بعد مهاتفتك بخمس دقائق حضرت جارتي المغربية رشيدة وجلست على كرسي بقربى وأنا أغسل الملابس.. شكت لي كثيراً من زوجها الفلسطيني هونت علي قليلاً وجدت أن الجراح تختلف لكن الألم مشترك.. لا حوار بينهما.. لا تجاوب منه يذكر.. شعرت بأنها تتحدث عنى وليست عن نفسها وختمت نمارق رسالتها..

عزيزتي آمال:

سأحضر قريباً إلى زيارتك أن سمح لي سجاني هذا العفريت الأزرق.. ولن أشغلك بهمومي أكثر.. تكفيك همومك.. أحب لذهنك أن يكون صافياً مثل سماء خالية من الغيوم في ليلة صيفية ساطعة النجم تتلألأ والقمر منير فيها.. فصورتك في الصف بسنة التخرج في حصة التعبير حاضرة أمامي وأنت تبكي لعدم تمكنك من التعبير

عن أبسط المواضيع بسبب الضوضاء التي في الفصل وكيف انتابتك نوبة بكاء هسترية عندما اتهمتك المعلمة العراقية زانة "ماتعبريش في الفصل.. فيه من يعبرلك في الحوش.. عكس المعلم الأردني" إدغيم "الذي يمنحنا حرية الحركة والتعبير ومن رغبت في الجلوس فوق المقعد أوالوقوف للتأمل أوحتى التمشي لاستجماع الأفكار.. كله مباح.. اتهام معلمتي أيقظ التداعيات الناعسة في ذاكرتي.. ببداية توجهي للكتابة والنشر عرض صديق لي بعض من كتاباتي على مؤلف رواية" طفولة بنغازيمفزوع "..أعجبه ما قرأ وأقسم حانثاً.. أن مثل هذه الكتابة استحالة أن تكون بقلم أنثى.. اتهام واضح وصريح لعله عن قلم من أطلعه على الكتابات.. ولكن لكل اتجاهه ومنحاه وأسلوبه في التعبير.. هذه كانت المرة الأولى والأخيرة.. لا أستشير أحداً ولا أحب مراجعة النص كثيراً.. فأولادي حفظهم الله لا يمنحوني وقتاً لقراءة النص قراءة متواصلة.. أكتب وأنشر مباشرة أعرف أن الآخر لن يضيف لي.. كما لا أطيق التدخل أوالحذف فيما كتبت.. مقتنعة أنى الأقرب إلى نصي.. القارئ وحده من يمنح النص شهادة نقد أحترمها وأتقبلها كصفعة طفل لطمت خدي بخجل ودود.. صديقتي نمارق التي أنهت رسالتها بعبارة شعرية أتت من الخرطوم مع أسرتها المتكونة من والدها السوداني وأمها المصرية وجدتها لوالدها سورية الجنسية.. نمارق وحيدة أبويها بعد أن ماتت توأمها ثريا في حادث سير أثناء عودتهما من المدرسة وتسبب الحادث لنمارق بإصابة جعلت مشيتها عرجاء رغم جمالها الذي ورثته عن جدتها السورية ذات البشرة الموردة والشعر الذهبي المتماوج بالشيب بنعومة الحرير.. ووالدتها المصرية التي جاءت من المنصورة بعينيها الخضراوين الواسعتين باستدارة جميلة.. أتى والد نمارق إلى ليبيا بحثاً عن عمل

فتحصل على عمل محاسب بشركة نفطية وسكن برأس الأنوف وسط ليبيا.. أشتغل أبوبكر والد نمارق لمدة سنتين وبعد أن نقل إلى فرع شركة الخليج ببنغازى منحته الدولة شقة بمنطقة الكيش ببنغازي.. فأحضر ابنته نمارق التي تحصلت على ليسانس آداب قسم علم نفس من جامعة قاريونس بليبيا ووالدتها زينات الملقبة "بزيزى" أما الجدة "نجاح" فقد توفيت بدمشق أثناء زيارتها لابنتها "أم كامل" بعد خمس سنوات توفى الحاج أبوبكر الذي يشهد له جيرانه وأصدقائه بالطيبة والشهامة.. أسقطه المرض وأعياه فعلى الرغم من ضخامة قامته ذبحته النوبة الصدرية.. الكل يتحسر على فقده ويدعون له بالغفران والرحمة حتى الأطفال بكوا عليه فدائمًا يحمل كيساً مليئاً بالحلوى والشوكلا الفاخرة والمصاصات الممطوطة المرشوشة بالسكر.. فأطفال العمارة يعرفون موعد رجعته من العمل يجدهم ينتظرونه بشغف وحب طفولي أمام باب العمارة وعلى السلالم ويهللون فرحين بقدومه.. "جدى بو بكر جاء وجابلنا الشكلاطة" كان رحمة الله عليه محباً لسجائر الروثمان.. يدخنها بإفراط وأحياناً يستعمل غليونه البنى المخدد بأنفاق ملتوية!!

لقد كان جدي مدخناً كبيراً.. يشعل السيجارة من أختها.. وكلما تصاعد الدخان إلى أعلى تابعه بنظره الكليل وأطلق زفرة.

عسايدون الموقي

نجدة

قلبي يتفاور.. ورأسي يدور وجفناي تورمتا من شدة السهاد.. لا أدري بأي الأرقام سأتصل.. ليس في رأسي المصدعة من قلة النوم سوي رقم «19» الذي كنا نطلبه في التسعينات من العقد المنصرم عندما يحدث تماس في الأسلاك الكهربائية للمحطة التي قبالة بيوتنا بحي بوهديمة أوعند شجارات السكارى العنيفة التي عادة مات كون بين سكان الشعبية والملاّكي علي أسباب نجهلها فنتصل نحن بنيات الشارع برقم النجدة الذي نحفظه عن ظهر قلب لنبعد شبح التحقيق من جريمة قتل مؤكدة عن شارعنا الذي جل سكانه مسالمين وعلي حالهم فتهب شرطة النجدة بضوئها الباهر وصفيرها المنبه لمساعدة من كان في محنة من حريق أواعتداء أوسرقة وغيرها من الجرائم.. وحتى الابتلاءات الحادثة بفعل القضاء والقدر.. قبل أن تفقد ثقتها بالمواطنين نظراً لكثرة البلاغات الكاذبة والاستهتار الكبير بهذه النمرة التي هي كقرص دواء صغير الحجم وفعاّل في الأزمات والمحن.. اتصلت به وجدته خارج الخدمة.. تمنيت لوأني استطع الخروج في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل دون أن تحاك ضدي القصص وتظن بي الظنون!

أليس من حقي التقدم ببلاغ لأقرب نقطة شرطة ضد ظاهرة ما يدعي «بالتمتيع» ولكني ضحكت في نفسي وسخرت من فكرتي

الرعناء بعد أن تذكرت أن المركز بنفس الحي الذي صار يتنافس علي هذه المهزلة ويعدون لها العدة من العاشرة مساء كما لوكانت حفلا ستحييه «حجالة مخضرمة».

..صار يرقص قلبي فرحاً كلما سمعت صافرة شرطة النجدة أوجهاز الإنذار لدورية الأمن الليلية تمر من شارعنا.. وتساءلت إلي أي مدي ذهبت نظرية الارتباط الشرطي بصافرة الإنذار، إلي أي مدي يتطور الحس وتتقلب المعايير الدماغية بهذا الشأن النفسوي؟!

أنه لمن المروع والمحزن أن تتقلب الموازين بهذا الشأن!.

فكرت أن أتصل بالبرنامج الناجح.. لا أذكر أسمه للمذيع بلاعوفي الإذاعة المسموعة يعالج القضايا الحساسة ويستقبل شكاوي المواطنين بصدر رحب وما يعجبني هو طريقته الفورية في توصيل الشكوى للجهة المسؤولة مع محاورة المسؤولين ومحاولة معالجة الفساد المقدور عليه ولكني أجهل موعده.. أكره المواعيد من كثرة ما صدمت بها فأقرب الناس لي لا يمكنني رؤيتهم ألاّ بموعد وقد يؤجل مرات ومرات وفي بعض الأحيان يلغي.. أكره ضرب المواعيد فالعنف دائماً عواقبه وخيمة.. وعندما تضرب الموعد فاحتمل ردة فعله الفورية التي تترك ندباً لا تشفي حتى بمرور الزمن.. عندما تضرب موعداً فإنه حتماً سيفسد روعة لقاءك ولهفة حنينك.. لربما حلمت بحبيب وأفقت مذعوراً من هول ما رأيت.. يمنعك الموعد من الارتماء بأحضانه في أقرب فرصة.. سيفسد لحظات الشوق العفوية ويضيع متعة المفاجأة.. أحب الصدف والأشياء غير المخطط لها فهي بالغة الروعة ولها مذاق ينشي الروح ويبلغها أقصي درجات «النيرفانا» لست متتبعة جيدة لأي شيء.. فكم أكره المتواليات مذ

كنت طالبة في المرحلة الثانوية.. يقترح زوجي أن أغلق أذناي بقطن عن صخب جمهور «التمتيع» وصخب السيارات ولكن ماذا لوقفز أطفالي أوأحدهما مذعوراً كما حدث منذ قليل.. هل كنت سأتفطن له.. جارتي عزيزة أحسدها علي نومها الثقيل..

● وكان تقريع الدنيا ما نجيب علم من حاجة

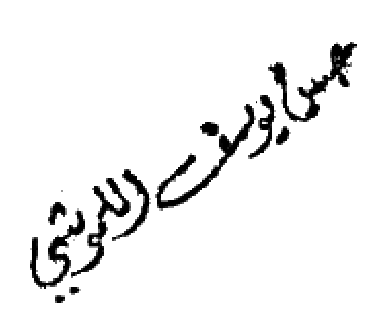
لا أدري أن كان النوم الخفيف نعمة أم نقمة.. بداية الليل يقلقني الحر والبعوض وأخره استعراضات لسيارات بلا نوع أو اسم محدد بل وحتى الحافلات ولا تكون جديدة بالدرجة الأولي فغالباً ما تكون مؤجرة وإن كانت ملكاً لصاحبها فمعظم الأحيان تمثل هذه السيارة التي طليت بالأسود والأبيض لتصبح سيارة أجرة وتعد مدخل رزقه أوحافلة تجده يكد نهاراً في شوارع المدينة ويتوقف هنا وهناك ركضاً وراء الربع دينار وكثيراً ما يتهرب من شرطة السير التي كثيراً ما تسجل له مخالفة «غير مكلودة» وبعد هذا كله يأتي آخر نهاره ويختم كده وتعبه ليس بالحمد والشكر وإنما بجوانا معمرة بالحشيش أوكمشة حبوب إيخلنا زايط في عالم ثاني بكل يحلق مع الصقور ويقاتل مع الأبطال ضد قضية وهمية ويلقي خطباً لجمهور زائف ويناقش بند من بنود البنية التحتية المطروحة للنقاش في المؤتمر الشعبي العام ويري نفسه مسؤولاً عن التنفيذ فيوقع كل الملفات لتدخل حيز التنفيذ ويستلم الإيصالات ويبدأ بتطيير ما تبقي من عملة ورقية في جيبه علي الحضور فيصفقون له ويعدهم بإصلاح حي المحيشي برمته أذا ما صعدوه وأوصلوه لكرسي الأمانة وسيجعل من حياً راقياً يفوق منطقة الفويهات والحدائق وحي الدولار وهذه الاستعراضات الجنونية تبدأ تقام من الحادية عشر مساء وتستمر إلي الواحدة وفي

يومي الخميس والجمعة تستمر إلي الساعة الثالثة صباحاً.. ذريرات الغبار تتقافز دون وعي منها متطايرة في الأجواء والتصفيق يفوق مائة مرة ذاك الذي يحمس الحجالة لهزهزة خصرها ووركيها.. صراخ وهتاف كما لوكنا في مباريات كأس العالم!

تعاضدوا الجيران وقدموا عريضة ولا أدري لأي جهة دونما جدوى..

- حمادة... حمادة...... حبيبي أفق لنصطحب جبير لمستشفى الأطفال الغبار ودخان العوادم سبب له ضيق تنفس!.

عندما خرجنا بالطفل إلى الطريق العام لنستقل سيارة أجرة وقف علينا أحد المتعين بسيارته ونقلنا على جناح السرعة إلى المستشفى مجاناً، ثم استأذنا للعودة إلى حلبة التمتيع، فدوره في تمتيع سيارته قد أزف.



صدر للكاتبة:

- قع ظامئة في حضني - قصص قصيرة - مجلس الثقافة العام الليبي 2006
- رمش العين - نص - المؤسسة العامة للثقافة. 2008
- قسامي - رواية - دار الحوار.2010
- شيش خان وزارة الثقافة والمجتمع المدني 2013.

com. yahoo@amalfarg

الفَهرس

«الدمع دمعى والعيون عيونى.. نبكى على الأولاد نين يجوني»

«أني واحلة في عيوني....

رمد الهواء منين جاهن....

في الصبح ما يوجعني....

وفي الليل يكثر بكاهن»

• لمّا نكبروا نتفكروا كل حاجة؟

هذا ما قالته شيراز ليلة عيد الفطر وهى تتألق بمنامتها الوردية التي تباهت بها بعد أن قفزت لتفتح خزانتها وتخرج منها دمى دببة الباندا بأحجام وتشكيلات جميلة.. الزي الياباني التقليدي وصندوق مملوء بالفراشات المحنطة أرتها لي.. أخبرتني أنها (كلما فتحت الصندوق تخالها تقفز على وجهها)..

عيسى يوسف العريشي

الهيئة العامة للثقافة